صوت من الأنقاض

ملحد
تجدّد في الإيمان
يتحدّى جميع الملحدين

المؤلّف
أرل ألبر رويل

الفهرس

عنوان الفصل	رقم الفصل	الصفحة
استهزاء المستهزىء	الفصل الأول	4
بحث في النّبوات	الفصل الثاني	7
عرض القضية	الفصل الثالث	10
كيفية تفنيد الكتاب المقدس	الفصل الرابع	11
جسارة النبي دانيال	الفصل الخامس	13
الملحدون يشهدون لوحي الكتاب مكرهين	الفصل السادس	15
السّيّد المسيّا، قلب النّبوّة والتّاريخ	الفصل السابع	18
الملحدون يشهدون للمسيّا	الفصل الثامن	21
شهادة غلاة الملحدين الأحياء	الفصل التاسع	25
ملحدون يصبحون مؤمنين	الفصل العاشر	27
مكافأه الكفر وما يعدنا به الكفار	الفصل الحادي عشر	30
بمَ يعدنا الإيمان؟	الفصل الثاني عشر	33

المقدمة

تربّى مؤلّف هذا الكتيّب فى أسرة لم يكن أفرادها من المؤمنين بيهوه, وبعد أن عرف الحقّ وأنعم يهوه عليه بالإيمان أراد أن يرشد الآخرين أيضاً ويعينهم على الانتقال من الإلحاد إلى الإيمان, أو من الموت إلى الحياة, فأخذ يجول في كثير من المدن يخطب في النّاس عن الأمور الدّاعية إلى الإيمان, وفي كلّ مدينة أعلن أنّه على استعداد أن يجيب عن كل سؤال يُقَدّم له, وجيهاً كان أو غير وجيه, بل إنه يعطي الفرصة لأي كان من الحضور أن يقاطعه في أثناء كلامه وأن يعترض على ما يقول وإذا كان اعتراضه في محلّه يُقبل بترحاب, وبعد سنين دوّن بعضاً من اختباراته في هذا الكتيّب الذي جئنا نزفّه إليكم, بعد ترجمته إلى اللّغة العربيّة آملين أنّه يكون بركة للجميع, مرتابين كانوا أم مؤمنين, وللمؤلّف كتب غير هذا, لأنّه إذ آمن واستشعر السّلام والاطمئنان فى نفسه ألّف كتاباً سمّاه "رسالات من ابن ملحد قد تجدّد في الإيمان لوالده اللادري" وكتاباً آخر عنوانه "الكتاب المقدس فى عرين غلاة النقّاد"وكتاباً ثالثاً عنوانه "مكافحة ذئاب المجتمع" وهو كتاب فى منع (المكيفات) أفاد كثيرين, هذا ونرجو للقرّاء بركات السّيّد.

المترجم

Copyright, 1933, by the
Review and Herald Publishing Association
طبع في لبنان

الفصل الأوّل
"استهزاء المستهزىء"

"اقرأ هذا يا أبي"
ذلك ما قاله, بلهجة المدهوش, جورج أمرسون وهو يقدّم لوالده إعلاناً كان قد فرغ من قراءته. تناول السّيّد أمرسون الصّحيفة وأخذ يقرأها بصوتٍ جهوريٍّ يغلب على نبراته التّهكّم والاستهزاء, وهاكم نصّ الإعلان.

دحض الإلحاد وتفنيده
خطبة فريدة في يابها, يلقيها داود دير, الذي كان ملحداً وتجدّد في الإيمان. فهو يدعو إلى الحضور جميع الملحدين والمستهزئين والمارقين وغير المؤمنين, ويبيح لهم أن يقاطعوه في أثناء كلامه ليسألوه سؤالات أو يبدو اعتراضات وجيهة, فإذا كنت دهريّاً أو لا ادريّاً, أو ملحداً, فشرّفنا, إنّ هذا الاجتماع هو لك أنت.
هذا هو نص الإعلان, قرأه السّيّد أمرسون ثم ألقاه جانباً قائلاً بازدراء:
"إنّ هذا الرّجل يتحدّى العالم بأجمعه"
"نعم, يا أبتي, بما فيهم أنت, إنّها لفرصة سانحة لك, فقد اعتدت أن توجّه إلى رؤساء الدّين أسئلة عديدة صعبة يعجزون عن إجابتها, فلنذهب ونسمع ما يقول الرجل, وأنا أيضاً عندي بعض الأسئلة أوجّهها إليه" قال جورج هذا رغبةً منه في أن يرى أباه في حومة الوغى, وليس لأنّه كان مستعدّاً بسؤالاتٍ معيّنة
-"لا أخاله يرحّب بسؤالاتي"
-"نعم, ولكنّ الدّعوة موجّهة بنوع أخص إلى الملحدين الذين يحضّهم على الحضور وتقديم اعتراضاتهم"
-"أعرف ذلك, وأعتبره جسارة منه وشجاعة"
-"ولكنّك لا تصدّق كلامه وتحسب أنّها وسيلة بها يجمع النّاس؟"
-"نعم, هو كذلك, فأنا لم أسمع قطّ بمثل هذه الاجتماعات, وهو إن عمل بموجب هذا الإعلان يفلت زمام الاجتماع من يده ويتحوّل إلى فوضى"
-"فلنذهب إذن ونرى ما سيكون, وقد يدهشنا"
-"طبعاً نذهب, حيث إنّك مشتاقٌ للحضور, وغالباً يمتلىء المكان ويزدحم".

الواقع أنّ السّيّد أمرسون كان توّاقاً أن يحضر ولكنّه أخفى رغبته تحت ستر النّزول على رغبة ابنه.
كان جورج أمرسون شابّاً يقظاً في مقتبل العمر وقد نشأ في جوٍّ ملؤه التّشكّك في الدّين, أمّا والده فكان رجلاً جسّيماً متحكّماً في أموره متوسّط الثّقافة وذا عقلٍ ثاقبٍ يميل إلى التّهكّم, وكان جورج ووالده يتحدّثان في أمر هذا الإعلان الغريب وإذا بالسّيدة أمرسون قد دخلت الغرفة هي وابنتها لوسيل التي, عندما لاحظت أنّ والدها يقف موقف المقاتل, قالت باستهزاء:
"مجادلة دينية على ما أظن؟"
"لا" ردّ جورج, "هي مناورة فقط استعداداً لمنازلة عموميّة"
-"منازلة دينية عموميّة؟ ماذا تقصد يا جورج؟"
-"أعني أنّ شابّاً كان ملحداً وتجدّد في الإيمان قد راح يعلن استعداده لمنازلة الجميع في آنٍ واحد, خذي اقرائي هذا الإعلان"
قرأت لوسيل الإعلان فملكها الاستغراب والدّهشة ثمّ قالت:
"لن يمكنه ذلك أكبر ظنّي أنّه مُستهزىء"
-"لا يا أختي, لاحظي أسماء الوجهاء الّذين ضمنوا هذا الاجتماع وهم أعيان المدينة"
نظرت لوسيل إلى أبيها بابتسام وقالت لأخيها: "أرى أنّ أبي سيكون سعيداً جدّاً".

-"إنّ الاجتماع ينعقد في هذا المساء, هل تذهبين؟"
-"هل يذهب أبي؟"
-"نعم, طبعاً"
-"إذن أرجو أن تحول دون ذهابه إن أمكن, فلماذا يُخذل؟"
-"أتظنين أنّه يخذل؟"
-"إنّي متأكّدة من خذلانه, أتظن أنّ أحداً يتجاسر ويصدرمثل هذا الإعلان تحت إشراف جميع هؤلاء الوجهاء إن لم يكن يعرف الكتاب المقدّس معرفة جيدة متقنة؟".

قصدت أسرة أمرسون قاعة الاجتماع ووصلت قبل الوقت المحدّد لفتحه بخمس عشرةَ دقيقة ومع ذلك فلم يجدوا أماكن للجلوس إلّا بكلّ صعوبة, لأنّ القاعة الفسيحة امتلأت, وثم همس جورج في أذن لوسيل قائلاً: "سيعلنون قريباً أن ليس مكان بعد إلّا للوقوف"
تربّع السّيّد أمرسون في الكرسيّ قائلاً: "ياترى كيف يديرون مثل هذا الاجتماع؟"

"سنرى الآن" قالت لوسيل: "فها هم يصعدون على المنبر, إنّي متأثّرة للغاية"
"إنّ الدّكتور مورلي يرأس الاجتماع" قال ذلك السّيّد أمرسون مندهشاً, "فلابدّ من أنّه اجتماع مهمٌّ جدّاً إذا كان أشهر أطبّاء المدينة قد قبل أن يقوم بواجب تقديم الخطيب".

ثمّ رؤي الخطيب, داود دير, وهو يهرع برصانة إلى مكانه بجانب الدّكتور مورلي, وكان رجلاً طويل القامة وفي العقد الثّالث من عمره, فجلس وأخذ يتحدّث إلى الدّكتور مورلي ريثما يأتي ميعاد الابتداء.
وإذ أزف الوقت المعيّن نهض رئيس الحفلة وقال: "إنّ سلسلة الخطب في موضوع دحض الإلحاد وتفنيده ستُلقى هنا في هذه القاعة كل يوم أحد خلال الأسابيع القادمة. إنّ عصرنا هذا ليتميّز بكونه عصر عدم الإيمان, وقد تربّى الخطيب في بيئة من الإلحاد, وكان, إلى عهد قريب, من الجاحدين الغيورين, وقد دعا للحضور ههنا جميع الذين يشكّون في صحّة الدّين وسيفسح لهم المجال للاعتراض على ما يقول ويمنحهم حقّ مقاطعته ليوجّهوا إليه ما يشاءون من الأسئلة, لأنّ الغرض من هذه الاجتماعات هو مساعدة كلّ من أراد الوصول إلى معرفة الحقّ, وها هو السّيّد دير وهو يخبركم بالموضوع".

ساد المكان سكونٌ تامّ, وإذ نهض الخطيب للقيام شعر الجميع كأنّ الجوّ مكهرب, تقدّم السّيّد دير بشهامة ووقف هنيهةً يتفرّس في وجوه الحاضرين ثمّ قال: "أرى أنّكم جميعاً تجهلون قصدي, لأنّي لم أحضر إلى هنا لأتحدّى أحداً, ولا أنوي أن أتحدّى الملحدين أوالإلحاد" فاضطرب الجمهور عند سماعه هذه الدّيباجة, واستمرّ الخطيب يقول بصوت حازم ارتفع فوق أصوات التذمّر التي تصاعدت من القاعة من كلّ ناحية, "كما أنّي لا أحسب أنّه في مقدوري تحدّيهما"
فقال السّيّد أمرسون: "هذا منتهى السّخرية إنّنا نضيّع وقتنا سدىً, الأفضل لنا أن نعود أدراجنا"
ثمّ مضى الخطيب في كلامه قائلاً: "ومع ذلك فالإلحاد والملحدون يتحدون بل يفندون"
فالذين نهضوا لمغادرة المكان عادوا وجلسوا, وقال السيد أمرسون: "لا بأس, إنّ المسألة تظهر مفيدة"
سكت الجمهور من جديد واشرأبّت الأعناق فتبسّم السّيّد دير مقدّراً موقف الحضور ودهشتهم, ثم قال: "نعم يصير تحدّي المتشكّكين وتفنيد الملحدين, ولكن ليس من قبلي, فقد جرى تحدّي ملحدي هذا العصر وتفنيد آراء غير المؤمنين الموجودين الآن في هذه القاعة, وذلك منذ مئات السنين وقد قام به من هو أغزر منّي علماً وأعمق منّي حكمةً. عزمت أن أسرد أمامكم الحقائق وأعطيكم فرصةً لقبولها أو رفضها, ولكم أن تعارضوا أيّة كلمة أنطق بها, بل نرجوكم أن تقاطعوني في أيّ وقتٍ تريدون وذلك لتقديم سؤالٍ أو إبداء معارضة, وأعتبر أن سكوتكم موافقة, أليس أنّ هذا هو الإنصاف؟"
فردّ كثيرون من الحاضرين: "بلا, بلا, استمرّ"
-"إنّما سؤالاتكم واعتراضاتكم تكون في موضوع البحث فقط, فقد بنيت خطبي هذه على قاعدة التّسلسل المنطقي. والسؤالات والاعتراضات التي لا محلّ لها من الموضوع اليوم قد تكون في موقعها في فرصةٍ أخرى, وأحسب أنّنا جميعاً من مريدي الحقّ وطالبيه, بل روّادون نشقّ طريقنا إلى الإيمان اليقين, وكلّ كلمة رفضها أحدنا نرفضها جميعاً, ويكون معلوماً لديكم أنّي أنوي التّقدُّم من الإلحاد إلى الإيمان, وأرجوكم أن تبيّنوا لي التّناقضات التي ترونها في سيري, لأنّي أرجو مساعدتكم على اكتشاف العيوب التي قد تظهر في منطقي, وإذا كنتم لا تجدون عيوباً فأرجو أنّكم لا تجدون مناصاً من قبول ما أقول" قال هذا ثم توقّف عن الحديث حتى يدركوا ويهضموا المسألة ويفهموا المقام"
"جسارة مدهشة" قال أحدهم
"خسيء, مستحيل" قال آخر
وقال السّيّد أمرسون: "أحسنت هذا هو الإخلاص والإنصاف وإلّا فلا, على أن لا يتنصّل من وعده" وكان هذا هو رأي السّوّاد الأعظم من الحضور, بيد أنّهم لم يقتنعوا بأنّ الخطيب كان يعني ما قال
ثم تناول داود دير كتباً صغيراً ورفعه بيده قائلاً: "هذا الكتاب يُسمّى الكتاب المقدّس, وهو كتاب ذو اعتبارٍ سامٍ عند المؤمنين به, فيقولون فيه أنّه كلمة يهوه, ومات لأجل إيمانهم به الملايين, واليوم أيضاً يُعدّون بالملايين الذين هم على استعدادٍ أن يحذوا حذوهم ويموتوا لإيمانهم به, فأرى أنّ كتاباً يؤمن به الملايين للموت حريٌّ بالدّرس والفحص, ونحن جميعاً نحبّذ البحث ونستحسنه, فهل هو كتاب يقبل الانتقاد والفحص؟ وإذا كان كذلك فكيف نبدأ بفحص كتاب علا شأنه كالكتاب المقدّس؟ وما هي أضعف حلقة من حلقاته؟ وهل يفتخر هو بتفرّده بقيم تميّزه عن سائر الكتب؟
نقرأ فيه هذه الآية: "امتحنوا كلَّ شيء, تمسّكوا بالحسن" (1 تسالونيكي 5: 21), فهل بين الحضور هنا من لا يستحسن هذه النّصيحة؟"
انتظر الخطيب هنيهة, ولمّا لم يقع اعتراضٌ قال: "أرى أنّنا حتّى الآن متّفقون, فأقرأ أيضاً "هلمَّ نتحاجج يقول يهوه" (إشعياء 1: 18), ولا أظنّ أن أشدّ العقول تهكّماً يعارض هذه الدّعوة, لأنّه تعالى يدعونا إلى إبراز الحجج, ولا يفرض علينا رأيه فرضاً, وإنّما يقدّم هو أيضاً حجّته لكي نمتحنها, فهل من معترضٍ على ذلك؟"
انتظر الخطيب أيضاً, وإذ لم يكن من معترضٍ استطرد قائلاً: "ولكن كيف نقدّر هذا الكتاب إذ نحقّق حججه وفحواها, هل يدّعي هو العصمة في شيء أو يعرض نفسه للامتحان؟
فإذا كان يدّعي العصمة نمتحنه, لأنّنا لا نكتفي الآن بالادّعاء بأنّه كلمة, ولكنّنا نضعه في البوتقة ونمحصّه ونحلّله في الحمض فنعرف ونتأكّد أنّه كلمة الخالق, وإلّا فنعلم.

لو كنّا قد شهدنا مجد السّيّد يهوشوه العظيم وسمعنا صوت الآب يكلّمه, كما قال بطرس أنّه شهد وسمع, لكان ذلك أساساً كافياً لإيماننا, بيد أنّ الرّسول بطرس وهو يخبرنا باختباره في رسالته الثّانية (1 : 16- 21) قال أنّ لنا أساساً أثبت من سماع صوت الآب ومعاينة عظمة السّيّد يهوشوه, ألا وهو كلمة النّبوّة, "وعندنا الكلمة النّبويّة وهي أثبت" ثمّ يردف فيقول: "لأنّه لم تأتِ نبوّة قطُّ بمشيئة إنسان بل تكلّم أناس يهوه القدّيسون مسوقين من الرّوح القدس".

نهض السّيّد أمرسون للقيام فانتصب بقامته الرّهيبة. فارتفعت من الذين أرادوا أن يسمعوا أقوال الخطيب أصواتٌ قائلة:
"اقعد, أخرجوه" وآخرون شجّعوه قائلين: "لا تخف, تكلّم, يا أخي" لأنّهم سُرّوا أن يمتحن إخلاص الخطيب في قوله "قاطعوني"
توقّف داود دير عن الكلام وتحوّل بابتسامٍ نحو الشّخص البارز الطّالب الكلام ورفع يده فصار إصغاءٌ تامٌّ, ثمّ قال بهدوء: "إنّ كلّ ما أطلبه منك هو اسمك وأن توجز في كلامك وألّا تخرج عن الموضوع, وهذا ما أطلبه من كلّ من يتكلّم من بعدك والآن يسرّني أن أصغي إلى ما تقول"
اتّجهت العيون إلى السّيّد أمرسون, وكأنّي به يشعر بموقفه كبطل الملحدين وبأنّ عليه مظهر الشّهامة والوقار, "أنا اسمي أمرسون وكلامي يكون بالإيجاز وفي ذات الموضوع, ولا أخالك تُسرّ منه حقّاً, ولكنّك الجاني على نفسك, إنّني لشديد الدّهشة أنّ شخصاً له ما لك من الثّقافة والعقل ويحاول خدع هذا الجمهور بأضاليل قديمة مُفتَضحة تسمّونها "نبوّات" إنّ النّبوّات لا أساس لها, إلّا أنّهم يشوّهون الحقائق ويفسّرون الوقائع تفسيراً يستهدف تطبيقها, أو إذا صادف انطباق يكون ذلك عفواً فضلاً عن أنّ النّبوّات قد قيلت عادةً بعد حدوث الحوادث فجاءت مطابقةً لها طبعاً, وبوسع أيّ إنسان منّا أن يكتب مثل هذه النّبوّات"

ثمّ استطرد قائلاً: "أستطيع أن أكتب نبوّةً عن طيران السّيّد لندنبرغ عبر الأطلسي, وأنسبها إلى علّامةٍ عاش في سنة الألف ميلاديّة, مثلاً, ثمّ بعد مرور ألفٍ وخمسمئة سنة أيضاً يجدون هذه النّبوّة ويقدّمونها برهاناً لصدق نبوّة ذلك العلّامة"
وجلس السّيّد أمرسون فارتفعت الأصوات: "لقد أصبت, وصدمته بمعضلةٍ يصعب حلّها" وتحوّلت الأنظار إلى داود دير الذي كان لم يزل واقفاً بهدوءٍ منتظراً أن يجاوب.

الفصل الثاني
"بحث في النّبوّات"

إذا كان قد شعر داود دير بأنّ سامعيه يكنّون له العدواة فما بدا من ذلك على هيئته شيء, وإنّما تكلّم بهدوء وبقوّة الاقتناع والإخلاص فقال:
"تقولون أنّ النّبوّة إمّا أن تكون مبهمة يغشاها الغموض وإمّا أن تكون مجرّد حيلة وبالأكثر تكون تخميناً جاء مصادفة, وأنا أوافقكم أنّها كثيراً ما تكون عسرة الفهم, وأتذكّر حين كنت أوّلاً أحسبها مبهمةً للغاية, ولكن, لماذا تلجأون في انتقادكم للنّبوّة إلى أساليب تستنكفون من أن تتّبعوها وأنتم تنتقدون أيّ كتابٍ آخر, فعندما تفتحون كتاباً يعلّم الهندسة, مثلاً, وتقع عينكم على قسم الجوامد منه, فهل تدافعون عن عدم فهمكم لغزه وأنتم متحيّرون بقولك أنّ الهندسة مبهمة, وهي بالحقيقة أكثر العلوم وضوحاً؟"

وهنا قام السّيّد أمرسون أيضاً, فتوقّف داود دير عن التّكلّم وأومأ إليه أنّ الفرصة له, فقال: "هل تقصد أنّ النّبوّات قابلة للإثبات مثل معضلات الهندسة؟"
-"نعم, هذا هو عين ما أقصد"
-"أراك تعسّر الأمر على نفسك أكثر ممّا يلزم" ودلّت نبراته على مزيج من الشّماتة والموآساة.أمّا داود دير فتبسّم وقال: "إنّما أزيد السّرور, لا الصّعاب, فلنرجع إلى الهندسة, إذا كنت تبتدىء بالمعضلات البسيطة التي في أوّل الكتاب, تفهم أخيراً ألغازه التي تراها الآن مبهمة ومعقّدة فهماً كاملاً, وهذا هو الأمر مع النّبوات, سبق بعضها البعض طبعاً, وفي سفر الرؤيا ,مثلاً, نبوّات لا سبيل إلى فهمها إلّا إذا كنّا نستغي بنبوّات دانيال.
أمّا لو كان من السّهولة بمكان تفنيد النّبوّات والتّشهير بها, فلماذا لا نجد بين ألوف المصنّفات التي ألّفها الملحدون كتاباً واحداً يثبت فساد النّبوّات وغلطاتها, لأنّ هذه النّبوّات إذا كانت تخميناتٌ صادفت, وفيها تشويه الحقائق قصد تطبيقها على النّبوّة, أو كُتبت بعد حدوث الحوادث المذكورة فيها, فالملحدون وهم يرحّبون بشوق وفرح بكلّ كلمةٍ يرون في إمكانهم تحويلها ضدّ الكتاب المقدّس, لماذا لم يتمسّكوا بهذه الوسيلة الفعّالة لدحضه وإظهار فساده؟
لماذا لم يَقم توماس باين أو روبرت أنكرسول, مثلاً, أو لنقل السّيّد أمرسون, بإظهار خطأ نبوّات موسى عن بني إسرائيل, أو نبوّات إشعياء عن بابل, أو نبوّات حزقيال عن صور وصيدا. أو نبوّات دانيال عن تقسيم رومية إلى الممالك الكائنة حاليّاً في أوربا, أو نبوّات السّيّد يهوشوه عن انتشار الإنجيل في كلّ المسكونة؟"

نشط السّيّد أمرسون وقام مسرعاً, فتبسّم له داود دير مرحباً به ونظرت لوسيل إلى أخيها وهمست في أذنه قائلةً: "هو على كلّ حالٍ كريم الأخلاق"
قال جورج: "نعم, ويظهر أنّه يرحّب بمن يقاطعه"
قال السّيّد أمرسون: "لم يهتمّ أحدٌ بالردّ على النّبوّات كما أنّهم لم يردّوا على تكهّنات عرافة دلفيا, لأنّها لا تسوى الجهد, يروي هيرودوتس قصّة كريسوس وكيف استشارعرافة دلفيا في أمر محاربته الفرس, وقيل له أنّه إذا عبر نهر هاليس يقضي بذلك على أمّة عظيمة, ففعل وأهلك أمّته, ولمّا سأل بوروس العرافة في مسألة محاربة رومية قالت له: "أخبرك يا بوروس أنّ الرّومان يغلبون" بصيغة المجهول أو المعلوم فصحّت هذه النّبوّات, وكانت لابُدّ أن تصحّ بصرف النّظر عن النّتيجة, وهكذا هي الحال مع جميع النّبوّات, قد تضحك, وقد تعجب ولكنّها لا تستحقّ
الالتفات الجدّي وها أنت تدّعي لها ادّعاءات عظيمة"

-"إنّ مقارنة الكتاب المقدّس بتكهّنات عرافة دلفيا مثل مقارنة الظّهيرة بنصف اللّيل,هذا نقيض تلك, ولا تترك نبوّات الكتاب المقدّس باباً مفتوحاً للتّراجع, إذا كذبت, فإذا لم يحدث ما أنبأت به... لا عذر لها فهي إذن جديرة بالاهتمام".
قال الخطيب: إنّ المنتقدين انتقدوا الكتاب المقدّس آية آية بكلّ تدقيق, ولكنّهم أهملوا النّبوّات وضربوا عنها صفحاً" ثمّ سأل السّيّد أمرسون: "هل تجعلون إيمانكم رهين النّبوّات؟ وما هي فائدتها للمؤمنين؟"
-"هذا هو الموقف تماماً, إن صدق كلمة يهوه مرهون بصدق النّبوّات, فلمَ لم يقم الملحدون بفحصها وإظهار تلفيقها وعرضها لسخرية الجمهور, إذا كانت باطلة؟ وأنت يا سيّد أمرسون وغيرك من الملحدين, تحتقرون النّبوّات, وكتب الرّسول بولس لك ولأمثالك في أيّامه قائلاً: "لا تحتقروا النّبوّات, امتحنوا كلّ شيء, تمسّكوا بالحسن"
(1 تسالونيكي 5: 20, 21) فهو يدعوكم إلى امتحان النّبوّات وإلى التّمسّك بها إذا أثبتت صحّتها"
فسأل السّيّد أمرسون: "هل النّبوّات تُعتبر برهاناً أقوى من المعجزات؟ كنت أحس أنّ السّيّد يهوشوه صنع آياته لإقناع النّاس وأنّ المؤمنين اليوم يستشهدونها برهاناً وإثباتاً لإيمانهم بصدق الكتاب المقدّس"
-"استشهد السّيّد يهوشوه مراراً بإتمام النّبوّات برهاناً مقبولاً لدى معاصريه, لأنّها قابلة للامتحان وقد مضى 1850 سنة على كتابة آخر سفر من أسفار الكتاب المقدّس, ونحوٌ من 3400 على كتابة أوّل سفر من أسفاره, قد تتأمّل معجزات الكتاب المقدّس فتحكم أنّها غير معقولة, إن لم تكن من المستحيلات وذلك لبعد العهد بها, أمّا النّبوّة فالحالة معها بالعكس. إنّ الذين قد شهدوا المعجزات اقتنعوا بصحّتها, والنّبوّات التي لم تتمّ بعد في أيّامهم قد تكوّن عثرةً وتؤدّي إلى نبذهم السّيّد ياهوشوا لا نقدر اليوم أن نشاهد تلك

وهنا توقّف داود دير فترةً وتأمّل في الحضور ولمّا لم ينتهز أحد الفرصة للتّكلّم استطرد قائلاً:
"نعم, استخدم يهوه هذه الأساليب الفعّالة فأقام خرائب الأمم وأطلال الممالك شهوداً لصدق كلامه, فصارت مصر وسوريا وجزيرة العرب وصور وصيدا وأدوم وفلسطين وبابل وأشور ونينوى ورومية وغيرها من البلدان والمدن شهوداً تقف في محكمة العالم وتشهد شهادتنا بدون تناقض وتقول: إنّ يهوه هو الإله وكلامه هو الصّدق. ولا يقلّل مرور العصور من قيمة شهادتها, بل بالعكس يزيدها قوةً وثقةً, وللآن لم يقم أحدٌ ببرهانٍ مضادٍّ لها"

انتصب السّيّد أمرسون واتّجهت العيون نحوه وأذن له داود دير بالكلام فسأل: "هَب أنّنا أثبتنا عدم صدق النّبوّات فما المنفعة؟"
-"إنّ صدق الكتاب المقدّس كلّه لمرهونٌ بمقدرته على إعلان ما لم يزل من طيّات المستقبل, وإذا صدق في ادّعائه, فأعلن حقيقة ما هو في طيّ كتمان المستقبل, فيكون ذلك نفسه معجزةً يعجز الإنسان عن القيام بها, وبرهاناً كافياً أنّه من مصدرٍ إلهيّ, فقد قال يهوه أنّه وحده يعلم المستقبلات, "ليخبرونا بما سيُعرض, ماهي الأوليّات,أخبروا فنجعل عليها قلوبنا ونعرف آخرتها أو أعلمونا المستقبلات. أخبروا بالآيات فيما بعد فنعرف أنّكم آلهة" (إشعياء 41: 21- 23).
إنّ القدرة على إعلان المستقبلات لهي قدرة إلهيّة خاصّة لا يمكن تمويهها أو تزويرها, ويهوه يدعو الجميع إلى الاعتراف به قائلاً:
"من أعلم بهذه منذ القديم, أخبر بها منذ زمان, أليس أنا يهوه ولا إله آخر غيري, إله بارٌّ ومخلّص, ليس سواي, التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأنّي أنا يهوه وليس آخر" (إشعياء 45: 21, 22)
فهل لديكم أيّها المرتابون ما تفنّدون لنا به النّبوّات؟ اسمعوا ما يقول: "قدّموا دعواكم يقول يهوه أحضروا حججكم" (إشعياء41: 21) فهل لكم من حجّة تقدّمونها؟"

فسأل السّيّد أمرسون: هل تمّم الكتاب المقدّس هذه الشّروط؟ أعني هل تمّمها إتماماً واضحاً؟ "أما أعلمتك منذ القديم, وأخبرتك, فأنتم شهودي" (إشعياء 44: 8) "إنّك أنت, نعم, أنت يا سيّد أمرسون وجميع الملحدين الموجودين في هذه القاعة أنتم الشّهود لصحّة هذه النّبوّات التي أُنبيء بها منذ قرونٍ مضت"
وثب السّيّد أمرسون وانتصب على رجليه وسأل باستغرابٍ بالغٍ: "هل تقصد أنّك تنوي إثبات نظريّاتك في النّبوّات بواسطتنا؟"
"نعم, هذا ما أقصده تماماً" قال الخطيب ذلك وهو يبتسم وكأنّي به وشدّة استغراب سامعيه تسرّه للغاية.
"ولكنّنا لا نؤمن بكتابك أصلاً, بل نحسب أنّ نبوّاته خرافاتٌ ونصبٌ, وهل تبرهن بنا ما لا نؤمن نحن به؟" قال السّيّد أمرسون هذا وهيئته دلّت على استنكاره الأمر كليّاً قالت لوسيل لأخيها: "إنّ له أسلوباً ناجعاً وقد نجح في إثارة غضب الوالد"

تبسّم جورج وقال: "نعم, والهياج لا يقتصر على الوالد, التفتي إلى الجلوس من ورائنا" نظرت لوسيل إلى ما خلفها وإذا بكلّ وجهٍ يضيء بالاهتمام الشّديد وكلّ عينٍ تبرق باللّذة.
جلس السّيّد أمرسون واستأنف داود دير كلامه قائلاً: "لأنّكم أنتم غير مؤمنين وتشهدون شهادتكم بإكراه, فلشهادتكم قيمة خاصّة, وقد قال يهوه منذ 2500 سنة أنّه يثبّت حقيقة كلمته بشهادة الذين يشكّون في صحّتها, إنّه لتصريحٌ عظيم الخطورة, إنّ شهادتكم هي التي تثبّت حقيقة النّبوّات. قد تمكّن العلم في هذا العصر من حلّ الكثير من المشاكل المستعصية, ويبدو وكأنّما العلماء قد سيطروا على الطّبيعة سيطرة كاملة, بيد أنّهم لم يتمكّنوا بعد من اختراق حجب المستقبل, ولا صاروا أقرب إلى هذا الهدف من القدماء, وقد يستطيع الإنسان أن يخطف النّجوم من حبكها, ولكنّه لا يستطيع أن يعرف ما يكنّه له الغد, قد يرجم بالغيب, ولكنّه لا يستطيع أن يعرفه, أمّا إذا كان المستقبل قد أعلن وصارت أسراره مكسوفة معروفة, وذلك في نبوّات تكلّم بها الأنبياء منذ قرونٍ عن أمم مشهورة, وشهد التاريخ بصحّتها بدون تزوير أو تحوير, وإذا كان الملحدون أنفسهم يعترفون بدقّة إتمامها, ويعجزون عن إبداء تفسير آخر معقول لها, فلابُدّ من أن تعترفوا أنّها من حكمة علويّة وليست من حكمة بشريّة, ماذا تقولون في كتابٍ يحوي نبوّات تنبيء بحدوث حوادث تصير في غضون أجيال لاحقة وتخصّ أمماً مختلفة, هي حوادث لم تكن لها بما كان جارياً في أيّام التّكلّم بها علاقة البتّة, ولم تكن معروفة ولا معقولة, بل كانت تبدو أنّها من المستحيلات, إنّه كتابٌ يحوي نبوّات أخبرت عن مئات الحوادث ولم تخطىء إحداها, وتبلور إتمامها أمام أعينكم بشكلٍ ملموس - نعم, ماذا تقولون في مثل هذا الكتاب؟

إنّ الآيات التي قرأتها عليكم تتحدّاكم وكلّ سكّان الأرض أن تقدّموا حججكم. وهي تقول أيضاً أنّ يهوه وحده يعلم المستقبلات فيستطيع أن ينبيء بها, وهو يشير إليها قائلاً أنّها البرهان أنّه هو الإله.هل من كتابٍ يدّعي ادّعاءات الكتاب المقدّس؟ وهل لديكم كتابٌ يحوي نبوّات عن أمور تصير بعد التّكلّم بها بمئات السّنين أو بعشراتِ السّنين؟ إذا كنتم تعلمون بوجود كتابٍ من هذا النّوع

فأبرزوه, إنّ يهوه يطلب منكم إبرازه.
جاهد الملحدون كثيراً وأنفقوا مبالغ طائلة في سبيل تفنيد الكتاب المقدّس, وأنا أعرض عليكم وسيلتين فعّالتين تبلغون بأيّهما غايتكم, أوّلاهما تفنيد نبوّات الكتاب المقدّس, والثّانية إبراز كتاب آخر يتضمّن نبوّات حقيقيّة. قد قال يهوه أنّكم لا تستطيعون أن تعملوا إحداهما وإذا فعلتم قضيتم على الثّقة بالكتاب المقدّس ككلمة يهوه, فلمَ أحجم الملحدون عن القيام بإحداهما؟ هل بين الحضور ههنا من يدّعي أنّ مثل هذا العمل قد تمّ؟ أو أنّه على استعدادٍ أن يقوم به؟"
توقّف داود دير عن الكلام انتظاراً للجواب الذي تأكّد من عدم إعطائه, وأظهر الحضور عدم الرّاحة, ثمّ قام السّيّد أمرسون وقال:
"هاتِ نبوّاتك فننظر في أمرها لقد ادّعيت بشأنها ادّعاءات طويلة عريضة, والآن نريد منك أن تعطينا البرهان والدّليل"
فقال داود دير: "إنّ هذا غاية ما يسرّني"

الفصل الثالث
عرض القضية

قوبل استدعاء السّيّد أمرسون بتصفيقٍ حارٍّ دلَّ على شدّة اهتمام الحضور بالاستماع إلى ما يقوله الخطيب في إثبات النّبوّات, أجاب داود دير والكتاب المقدّس بيده فقال: "تعظّمت مملكة صور قديماً وأزهت طيلة ألفي سنة, إلى أن أصبحت سيّدة البحار, كما صارت أختها بابل سيّدة البرّ, وممّا يدلّ على عظمتها أن مستعمرتها قرطاجة كانت تنافس رومية, فهذه صور المثرية, الكاملة الجمال, الحكيمة, المثقّفة, ملتقى الشّعوب, يتاجر في أسواقها الممالك ويحضرون ثروتهم إليها, فكانوا يبيعون في أسواقها الذّهب, والفضّة, والنّحاس, والحجر الكريم, واللؤلؤ, العاج, والآبنوس والأخشاب الثّمينة, الخيل والبغال, الخرفان والأعتدة, الحرير والبوص والصّوف, الطّيب والبلسان, وأجساد النّاس ونفوسهم, فكانت صور عروس آسيا, ترسو في مينائها سفن جميع الأمم. ولمّا كانت صور في قمّة مجدها وذروة قوّتها, ودلّت الدّلائل كلّها على بقائها إلى الأبد تنبّأ عنها حزقيال في سنة 586 ق.م قائلاً: "فيخربون أسوار صور ويهدمون أبراجها وأسحي ترابها عنها وأصيّرها ضحّ الصّخر فتصير مبسطاً للشّباك في وسط البحر, لأنّي أنا تكلّمت يقول السّيّد يهوه... ويضعون حجارتك وخشبك وترابك في وسط المياه... وأصيّرك كضحّ الصّخر فتكونين مبسطاً للشّباك ولا تبنين بعد لأنّي أنا يهوه تكلّمت" (حزقيال 26: 4- 14). بعد هذه النّبوّة رأساً حاصر نبوخذ نصّر مدينه صور, وبعد ثلاث عشرة سنة من الحصار دخل المدينة وأهلكها منتقماً من سكّانها ومن مبانيها انتقاماً مريعاً"

هنا وثب أحد المستمعين وقال: "لا تقدر أن تبرهن أنّ هذه النّبوّة صارت قبل أيّام نبوخذ نصّر, فقد كان حزقيال معاصراً لملك بابل حسب قولك"

"نعم, صحيح" قال داود دير, "ولكنّي وإن كنت أعتقد أنّ النّبوّة جاءت قبل محاصرة نبوخذنصّر لصور فلا أقتصر على الإشارة إلى تلك المحاصرة للاستدلال على صحّة النّبوّة, إذ إنّها تطرّقت إلى ما سيقع بعدها بأكثر من ألفي عام, كما سترى إن شاء يهوه.

لاحظوا أنّ النّبوّة أخبرت بأنّ أخشاب صور وحجارتها وحتّى ترابها ستُلقى في البحر فتصير ضحّ الصّخر, يبسطون عليه الشّباك, وقد ترك نبوخذنصّر أنقاض المدينة في مكانها أجل, لم تتمّ نبوّة حزقيال بواسطة ملك بابل, ولكن كان إتمامها يبدو بعيد الاحتمال, لأنّ نبوخذنصّر مع أنّه انتقم من المدينة انتقاماً صارماً لم يفكّر أبداً في القيام بما يتمّم النّبوّة, ولا يقدم أحد على القيام بعمل جنوني كهذا, فبقيت كلمات النّبوّة تنتظر إتمامها أجل, بقيت هذه الخرائب مئتين وخمسين سنة بعد وقوع التّدمير وكأنّي بها تكذّب النّبوّة تكذيباً, إلى أن جاء اسكندر ذو القرنين يولّد في قلوب أهل الشّرق, الخوف والرّعب بشهرته, فزحف على صور في سنة 332 ق.م, وإذ بلغ السّاحل ورأى أنّ بينه وبين المدينة الجديدة التي أراد محاربتها مياه بحرعرضه نحو 800 متر, لأنّ المدينة كانت مبنيّة على جزيرة, فوضع خطّته في الحال وشرع في تنفيذها, فأخذ أسوار صور القديمة وأبراجها وأخشابها وحجارة قصورها وبيوتها ليكوّن معبراً من البرّ إلى الجزيرة وسحا أيضاً ترابها وألقاه في البحر, وهكذا تمّت النّبوّة بالحرف الواحد".

رأى السّيّد أمرسون أنّ المعترض الأوّل لم يعترض بعد فقام هو وقال: "أسلّم بأنّ ما قلته عن صور هو صحيح, ولكن ما الفائدة؟ لأنّك لا تقدر أن تثبت أنّ هذه النّبوّة المزعومة كتبت قبل وقوع حوادثها, وعلى هذا البعد من تلك الحوادث لا يهمّنا ثلاثة أو أربع قرون, ولكنّ حجّتك غير مقنعة, لأنّي أنا أعتقد أنّ سفر حزقيال قد كُتبَ بعد أيّام الاسكندر."

تبسّم داود دير وقال: "قد يكون انطباق الوقائع التّاريخيّة على النّبوّة انطباقاً كاملاً هو الذي حملك على هذا الاعتقاد"

ردّ السّيّد أمرسون: "قد تكون موافقة التّاريخ لنبوّة حزقيال ما حملك على الاعتقاد أنّ النّبوّة كُتبَت أوّلاً, وأساس افتراضي لا يقلّ متانةً عن أساس افتراضك, وهو أقرب إلى العقل"

-"في افتراضك يا سيّد أمرسون أهملت ثلاث حقائق ذات شأن, أولاها أنّ دائرة المعارف البريطانيّة الطّبعة, الرّابعة عشرة, المجلّد التّاسع, في الصّفحتين 13 و 14 تحت مادّة "حزقيال" تقول أنّ سفر حزقيال هذا قد كُتبَ ما بين سنة 586 ق.م وسنة 450 ق.م وهذا هو رأي غلاة النّقّاد فحسب رأي غير المؤمنين هذا قد صارت النّبوّة قبل أيّام الاسكندر بمئة وتسع عشرة سنة, وثانيتهما أنّك بزعمك أنّ حزقيال تنبّأ أو كتب ما كتب بعد وقوع الحوادث التي يدّعي أنّه تنبّأ عنها جعلت هذا السّفر الذي يعلّم تعليماً أدبياً سامياً سفراً توشّى بالأكاذيب. وأنت, يا سيّد أمرسون, وأنت تخلق لنفسك هاتين الصّعوبتين تعترضك صعوبةٌ ثالثة لا يقدر أيّ ملحدٍ أن يزيلها من أمامك, لنفرض جدلاً أنّ سفر حزقيال قد كُتب في أيّ وقتٍ تشاء في 330 ق.م مثلاً, ولا تقدر أن تعيّن له تاريخاً أقرب إلينا من ذلك"

أشار السّيّد أمرسون بالموافقة, فاستطرد داود دير قائلاً:

"فاتك أنّ النّبوّة ذكرت تفاصيل أخرى بالإضافة إلى تخريب المدينة, ففي بعض النّبوّات عن المدن يُعلن تخريبها وإعادة بنائها, كما كان الأمر مع مدينة القدس ,مثلاً, التي لم تزل لِلآن معمورة وعاصمة, فالحقيقة الثالثة التي أهملتها هي أنّ النّبوّة جزمت أنّ المدينة لا تُبنى بعد إلى الأبد يعني لا ترجع إلى مركزها الأوّل, وصار هذا الحكم الإلهي نافذ المفعول إلى الآن وله أكثر من ألفي سنة, ممّا يدعوكم إلى الإيمان به, أو إلى تكذيب كلمة يهوه بإعادة مجد المدينة إليها"

فغر السّيّد أمرسون فاه دهشةً واستغراباً وقال: "لم أسمع قطُّ بشيءٍ من هذا القبيل, هل أنت جادٌّ في قولك؟"

ردّ داود دير: "طبعاً, بكلّ تأكيد, وأنا أكشف لكم الآن سبيل تفنيد الكتاب المقدّس إذا أردتم ذلك".

الفصل الرابع
كيفيّة تفنيد الكتاب المقدّس

إنّ قول الخطيب أنّه يعرّفهم كيفيّة تفنيد الكتاب المقدّس؟ قد كدّرت الكثيرين من سامعيه وأزعجتهم, والمؤمنون منهم عبّروا عن أسفهم الشّديد, وغير المؤمنين أخذتهم الدّهشة فقام السّيّد أمرسون وسأل: "هل تقصد أنّك تسلّم بإمكانيّة دحض الكتاب المقدّس؟"
-"كلّا البتّة, إنّ الأمر على عكس ذلك تماماً, لا أسلّم أبداً بإمكانيّة دحض أقلّ كلمة من الكتاب المقدّس؟"
-"ولكنّك قلت أنّك تعرّفنا كيفيّة تفنيده"
-"وإنّي سأفعل ذلك, إن شاء يهوه"
-"نرى في أقوالك شيئاً من التّناقض, ولكنّنا نحبّ أن نسمع ما تقول, تفضّل"
فاستطرد داود دير قائلاً: "أشكرك, إنّ الأمر لا يقتصر على كون يهوه قد استفزّ الملحدين لأن ينقضوا النّبوّات فحسب, بل أخبرهم كيف يقومون بتفنيدها, وكلّ يومٍ تدعوكم صور إلى الإيمان بكلمة يهوه وتشهد عليكم بعجزكم عن دحضها, إذ إنّ في قول يهوه عن المدينة "لا تبنين بعد" تكمن فرصة لتفنيده بل وتحريض على القيام بعمل يكذّبه, فلماذا لا تبنون مدينة صور القديمة؟ لأنّ دولاراً واحداً, من كلّ ملحدٍ من أوربا وأميركا يكفي لإعادة مجدها وتجارتها, وعظمتها الغابرة, وبمثل هذا العمل تكذّبون النّبوّة, لماذا لا تبنون مستعمرة ملحدين في صور وتعيدون مجدها القديم وتقضون بذلك قضاءً مبرماً على الكتاب المقدّس؟ والموقع حسنٌ جدّاً للسّكن, إذ إنّ فيه الماء الكافي ويحيط بها حقولٌ خصبةٌ تمتدّ إلى الجبال كيف تجاسر نبيٌّ أن يتكلّم بهذه النّبوّة مع وجود الملايين من الملحدين؟ وها قد مضى عليها أكثر من ألفي سنة لم يقل في أثنائها ملحدٌ أنّها غير صائبة, ويخبر الملحد الإفرنسي "فولني" كيف أنّه زار المدينة وكيف وجد الصّيادين يبسطون شباكهم على الصّخور كما سبق النّبي وكتب, فبقاء المدينة على حالتها الخربة شهادة تكذّب الملحدين في قولهم أنّ النّبوّات مبهمة وأنّها كُتبت بعد حدوث ما تُنبِّيء به.
ورُبّ قائلٍ يقول (تكهّنٌ موفّقٌ) ولكنّ جواباً كهذا لا يعني فتيلاً, خصوصاً ولم يقم أيّ إنسان خارجاً عن الكتاب المقدّس بالتّنبؤ عن مدينةٍ أو مملكة يمتدّ أجلها إلى مئات السّنين وجاءت نبوّته مطابقة للواقع, فكيف تعلّلون قدرة كتبة الكتاب المقدّس وحدهم على إعلان ما يكنّه المستقبل إلى ما بعد ألفي سنة؟"

نهض السّيّد أمرسون وقال: "من الطّبيعي أنّ الإنسان عندما يرى مدينة خربت وصارت أنقاضاً أن يتكهّن بعدم تعميرها وعدم إعادة مجدها فيما بعد"
-"إنّ تكهّناً كهذا وإن بدا طبيعيّاً لا يلبث أن يورّط صاحبه في صعوباتٍ جمّةٍ, فقد تكلّم حزقيال أيضاً عن أخت صور القديمة الواقعة ثلاثين ميلاً إلى الشّمال منها, وقد أخذ نجمها يأفل منذ قرون ولم تزل صور في أوج مجدها, وجاء أرتحشتا أوخس, ملك فارس في سنة 351 ق.م وأهلكها.
في رأيك, يا سيّد أمرسون, إنّ سفر حزقيال كُتِبَ بعد مجيء الاسكندر, فإذا كان النّبيُّ يحكم استناداً إلى الظّواهر في سنة 330 ق.م, كما تدّعي, لكان يحكم بزوالها ومحوها إلى الأبد, لكنّ صيدا لاتزال قائمة, ويقطنها اليوم أكثر من ثلاثين ألف نسمة, فلنقرأ كلماتِ حزقيال (28: 20- 23) "وكان إليّ كلام يهوه قائلاً: يا ابن آدم اجعل وجهك نحو صيدون وتنبّأ عليها, وقل هكذا قال السّيّد يهوه, هأنذا عليكِ يا صيدون... أرسل عليكِ وبأ ودماً إلى أزقّتها ويسقط الجرحى في وسطها بالسّيف الذي عليها من كلّ جانب..."
لاحظوا أنّ الحكم على صيدا لم يكن بالفناء كالحكم على صور, بل بالدماء في أزقّتها والجرحى في وسطها والسّيف حواليها من كلّ جانب, حتّى أنّ صيدا, وقد رأت من الحروب ما لم تره مدينة أخرى, إلّا مدينة القدس (أورشليم), وخربت وبُنيت مراراً, نراها قد بقيت مأهولةً حتّى اليوم. ولنفرض أنّ حزقيال تنبّأ بأنّ صور وصيدا ستُدمّران تدميراً ولا تستعيدان مجدهما إلى الأبد, أما يكون كلّ من سكّان صيدا الثّلاثين ألفاً شاهداً حيّاً لخطأ نبوّة حزقيال؟.
أو لنفرض أنّ النّبيّ تكهّن بإعادة مجد صور مع تعرّضها للحروب والآلام, وتكهّن أنّ صيدا تُباد ولا تُبنى بعد, أفما يكون ازدراء الملحد بالكتاب المقدّس عظيماً؟ لأنّه كيف يدّعي الدّقّة في إعلاناته ونبوّات حزقيال لم تتم؟ فكيف اتّفق أنّ النّبيّ أصاب كبد الحقّ في كلتا الحالتين, وكانت المدينة التي لم تُبنَ هي التي قال أنّها لا تُبنى, والتي بقيت عامرة مع كثرة حروبها هي التي لم يذكر حزقيال عدم إعادة مجدها؟

وبعدما تحلّون هذه العقدة يعترضكم ما هو أعقد منها. فقد تكون صيدا كسائر المدن القديمة تنحطّ وتفتقر وتُحرم من وسائل الدّفاع فلا يُغرى أحدٌ بمهاجمتها, فكيف عرف حزقيال أنّها رغم الهجمات الكثيرة تظلّ معقلاً قويّاً فتُهاجم جيلاً بعد جيل ويتركها الفاتحون والدماء تصبغ شوارعها؟"
فأجاب السّيّد أمرسون قائلاً: "كانت هاتان المدينتان قويّتين شهيرتين, وفي وقت كتابة النّبوّات عنهما كانت الدّلائل توحي بمصيرها, فصدقت النّبوّات, فإنّ صدق تكهّناتٍ كهذه لا تكفي أساساً وطيداً يُبنى عليه الاعتقاد بصحّة كلّ كلمةٍ في الكتاب المقدّس"
-"طبعاً, لا, وأنا لم أدّعِ ذلك, والآن أبرز لكم نبوّةً عن مدينةٍ أخرى فيها الشّروط التي تطلبونها بكاملها, تدّعي, يا سيّد أمرسون, أنّ أحوال صور وصيدا كانت توحي بمصيرها, فها هي نبوّة عن مدينة لم تكن الدّلائل توحي بمصيرها, لنأخذ من النّبوّات

الكثيرة جملتين تخصّان مدينة أشقلون, وهي مدينة لا تقلّ أهميّةً عن المدينتين اللّتين سبق الكلام عنهما, قالوا: "أشقلون للخراب" (صفنيا 2: 4) ؛ و"أشقلون لا تُسكن" (زكريّا 9: 5)

تأسّست هذه المدينة 1800 سنة قبل الميلاد, وفي أيّام السّيّد يهوشوه كانت في ذروة قوّتها, وعليه فليس بوسعك أن تدّعي أنّ الدّلائل كانت توحي بمستقبلها وقت كتابة النّبوّات عنها, وما هي حالتها اليوم؟ أقتبس الكلمة التّالية من الموسوعة البريطانيّة, الطبعة الرّابعة عشرة, المجلّد الثّاني, وجه 544 "إنّ خرابها واقعٌ على ساحل البحر المتوسّط, ويبعد إلى الشّمال من غزّة 12 ميلاً... تُرى أعمدة مكسّرة تعلو من الأرض المغطّاة بالرّمال وجدران البيوت المنهدمة, وحيطان القصور تشهد كلّها بمجدها الغابر... وتحيط بها حقول خصبة مزروعة عنباً وزيتوناً, وأشجار ناضرة كثيرة"
لاحظوا أنّ هذه الموسوعة الثّقة تستعمل لوصف الموضع ذات الكلمة التي استعملتها النّبوّة فقالت (خراب) فقد رأى النّبيّ منذ خمسة وعشرين قرناً ما يراه المؤرّخ اليوم, ويستعملان نفس الكلمة في وصفها, وقالت الموسوعة أيضاً:
"إنّ أشقلون مسقط رأس هيرودس الكبير التي زيّنها بعمارات فخمة, وعلى عهد الرّومان كانت مركزاً مهمّاً للثّقافة اليونانيّة, وكانت لأربعة قرون ونصف القرن من سنة 104 ق.م مدينة حرّة من الامبراطوريّة الرّومانيّة"
ومهما كان تقديرك لكتابة النّبوّة عن هذه المدينة, فقد كان نجمها في الصّعود بعد النّبوّة بمئات السّنين.
وفي سنة 636 م استولى عليها العرب, وفي أثناء الحروب الصليبيّة كانت مفتاح فلسطين في الجنوب, وقد احتلّها الملك بلدوين الثّالث في سنة 115 م بعد حصارٍ دام نصف سنة, وبقيت معقلاً قويّاً بعد التّنبؤ بخرابها ألفاً وخمسمئة سنة, وبعد مئة سنة أيضاً من الحروب هدمها السّلطان بيبارس في سنة 270 م وسدّ ميناءها بالحجارة, ولا تزال أبراجها الهائلة حتّى الآن مبعثرة على الأرض صورةَ خرابٍ مريعة ولا يسكنها أحد.

لنفرض أنّ أشقلون مثل صيدا اليوم مدينةٌ عامرةٌ, أما كان الملحدون يتمسّكون بهذه الحقيقة لكي يحكموا ببطلان كلمة يهوه, وكان الواجب يقضي بالتمسّك بها لو كانت حقيقية, ولكنّها غير واقعيّة, وقال الكتاب المقدّس "لا تحتقروا النّبوّات, امتحنوا كلّ شيء, تمسّكوا بالحسن" (1 تسالونيكي 5: 20, 21)
ولكنّكم أنتم تحتقرون النّبوّات, ولم تمتحنوها, ولقد تكلّمنا عن ثلاث مدن تنبّأ عنها الأنبياء ووصفوا حالتها كما هي اليوم, ومهما يكن موقفكم من النّبوّات فلا تتبدّل حقيقة كونها صادقة تدعو إلى الإيمان بيهوه.
وقد كان الملحد الشّهير, روبرت أنكسول, والواعظ الكبير هنرورد بيتشر, صديقين, وكان للواعظ في غرفته للمطالعة كرة فلكيّة بديعة الصّنع, وكان مرسوماً عليها أبراج النّجوم بشكلٍ بارزٍ, راقت السّيد أنكسول جدّاً, فأخذ يديرها ثم قال "هذه هي ضالّتي المنشودة, فمن صنعها؟"
"من صنعها؟ أنت, يا سيّد أنكسول, تسألني عمّن صنعها؟" قال الواعظ هذا وهو يتصنّع الاستغراب, "لم يصنعها أحد وإنّما جاء وجودها صدفةً, صارت من نفسها"
وأنت, يا سيّد أمرسون, عندما يواجهك إتمام النّبوّة, وتلتزم أن تعترف بحقيقة إتمامها ولا تقدر أن تنكرها, ولا أن تعلّلها, تقول أنّها من قبيل الصّدفة, وهي نبوّات الكتاب المقدّس وحدها التي تأتي صدفة وأنت لا تفسّر ذلك, بل ترفض أن تقبل أيّ تفسيرٍ يعزو إتمامها إلى علم يهوه, فهل موقفك هذا معقول؟ أموقف مفكّرٍ هو؟ إنّ الموقف الذي يقفه الفيلسوف الحقيقيُّ إنّما هو موقف الخضوع للبرهان وقبول الشهادة, لو أدّى ذلك إلى الاعتراف بما كان في رأيه السّابق من الخطأ.
في اجتماعنا الآتي إن شاء يهوه نتأمّل أهمّ النّبوّات في الكتاب المقدّس, فإلى اللّقاء"

الفصل الخامس
جسارة النّبي دانيال

"لقد سلّمتَ, يا سيّد أمرسون, بأنّ النّبوّات قد كُتبت قبل حدوث ما تنبّأت به, ثمّ تفادياً من نتيجة هذا التّسليم لجأت إلى الطّرف الآخر وقلت أنّ الوقت, إذا طال, كفيلٌ بإتمام جميع النّبوّات, وعليه فأريد أن أذكر نبوّة يكون الوقت كفيلٌ بتكذيبها, وليس بتثبيتها.
إنّ أوّل من كتب تاريخ انحطاط المملكة الرومانيّة وسقوطها هو النّبي دانيال وقد كتبه في القرن السّادس ق.م, والمؤرّخ الملحد المشهور غبون الذي كتب هذا التّاريخ في القرن الثّامن عشر ميلادي لم يكتب إلّا إثباتاً لما سبق وكتبه دانيال"
هنا قام السّيّد أمرسون والدّهشة باديةٌ على محيّاه والتّهيّج ظاهر في نبراته فسأل: "هل تدّعي أنّ دانيال كتب السّفر المنسوب إليه في القرن السّادس قبل الميلاد؟ لقد أجمع النّاقدون" وهنا حوّل السّيّد أمرسون وجهه نحو السّامعين وبسط يديه في حركةٍ دلّت على مبلغ اشمئزازه, "على أنّ الكتاب لم يُكتب قبل سنة 168 ق.م واسم الكاتب مجهول"
-"أنا أعلم جيّداً, يا سيّد أمرسون, أنّ غلاة النّقّاد يصوّبون مدافعهم الثّقيلة إلى سفر دانيال, وذلك منذ القرن الثّالث ميلادي حين لاحظ النّاقد كلسوس دقّة مطابقة نبوّات دانيال لحوادث التّاريخ بحيث لا يمكن دحضها, لأنّه في الفصلين الثّاني والسّابع من سفره سرد دانيال تاريخ العالم سرداً صائباً مبتدئاً من بابل إلى يومنا هذا, فضاق النّاقدون ذرعاً في تأويله واضطرّوا أن يعترفوا بأنّه من قوّة علويّة ومعرفة إلهيّة.
فحسب الملحدون أنّه من الميسور لديهم القضاء على سفر دانيال بمجرّد ادّعائهم بأنّ دانيال لم يكتبه ولم يُكتب قبل سنة 168 ق.م.

وليس من نيّتي الآن أن أبيّن تفاصيل هذه النّبوّات العجيبة, لضيق الوقت, فأكتفي بالبحث فى حقيقة واحدة فقط وهي أنّه مهما اختلف النّاقدون في تاريخ سفر دانيال وفي كاتبه, فهم يجمعون على أنّه قد أعلن أنّ عدد الممالك التي تسود العالم من بابل إلى نهاية الأيّام يكون أربعة فقط, وإذا كان دانيال قد عاش في سنة 600 ق.م, كما أعتقد, فقد أخبر بقيام ثلاث ممالك, من بعد بابل, وهذه في نفسها تُحسب نبوّة عجيبة, ولكن لكي ينقضوا الإعجاز جزم الملحدون أنّ هذا السّفر لم يُكتب قبل سنة 168 ق.م, أي في وقت قيام رومية فإذا صحّ ما يقوله النّقاد من أنّ كاتب السّفر عاش سنة 168 ق.م, فكان ملمّاً بالواقع أنّه من خلال مدّة أربعمئة سنة مضت قد ملكت بابل ومادي وفارس واليونان ورومية فسقطت بابل في سنة 538 ق.م, ثم انتصر الاسكندر على مادي وفارس في سنة 331 ق.م وانتُزع الملك من أيديهم, وفي معركة بودنا في 22 حزيران سنة 168 ق.م وصلت رومية إلى السّيادة العالميّة, وهكذا في فترة أربعمائة سنة قامت هذه الممالك الأربع تتالياً.
فإذا سلّمنا أنّ نبوّات دانيال كُتبت في سنة 168 ق.م حسب زعمكم, فهي لا تزال أعجوبة ولا تقلّ إعجاباً عمّا لو كُتبت في سنة 538 ق.م, مثلاً, لأنّ النّبيّ رغم تعاقب هذه الممالك الأربع في هذه البرهة من التّاريخ, تجاسر وتنبّأ بأنّ مملكة عالميّة أخرى لاتقوم إلى نهاية العالم, وكان كلامه هذا يخالف كلّ قياس نسبي لأنّ الحكيم الذي يرجم بالغيب بناءً على الاختبار يقول أنّ الثّورات التي صارت في الماضي تتكرّر في المستقبل, إذ (إنّ التّاريخ يعيد نفسه) فكما أنّ بابل سقطت أمام مادي وفارس, وهذه في دورها توارت أمام شمس الاسكندر المشرقة التي ما لبثت أن أفلت عند قيام الرّومانيين, كذلك يحسب الفاطن أنّ رومية في دورها تسقط أمام مملكة أخرى, ولكن هل اختفت المملكة الرومانيّة أمام مملكة خامسة قامت وداستها في التراب؟
إنّ كلّ تلميذٍ في المدرسة يعلم أنّ آخر مملكة ساست العالم أجمع هي رومية, وكيف كان دانيال يعلم ذلك منذ 168 ق.م
ومن أين له هذا العلم؟
اعترف الملحدون بأعجوبة نبوّات دانيال على أساس أنّها كُتبت ونجم بابل في الصّعود, وظنّوا أنّهم يتمصلّون من هذه الأعجوبة إذا أخّروا كتابتها إلى بعد ما تسلّمت مملكة رومية زمام العالم, ولكنّهم ما تملّصوا من معضلة إلّا لكي يتورّطوا في أخرى مثلها, وسيّان عندي أيّ المتقابلتين يتعلّقون بها لأنّ الأعجوبة مازالت أعجوبة ولا فرق عندي بين أن تكون نبوّات دانيال كُتبت سنة 540 ق.م أو 168 ق.م"

فقاطعه السّيّد أمرسون قائلاً: "لست أرى كيف يكون ذلك لأنّ نبوّات دانيال, إذا كانت قد كُتبت بعد زوال الممالك كيف يكون قد تنبّأ عن قيامها وسقوطها؟"
"هذا سلّمنا به" قال الخطيب, "ولكنّي أريد أن تتأمّلوا القضيّة من وجهتيها, فإذا كُتبت نبوّات دانيال في سنة 540 ق.م, مثلاً, يسلّم كلّ ملحدٍ بأنّها أعجوبة لا تُفسّر, ولكنّكم تتناسون الحقيقة أنّكم, إذا وافقنا أنّها كُتبت في سنة 168ق.م, تكونون قد خلقتم بذلك أعجوبة أخرى لا تقلّ عن الأولى غرابةً"
فقال السّيّد أمرسون "لست أدري بعد كيف يكون ذلك"
-"سأوضّح المسألة إن شاء يهوه, إنّكم بادّعائكم أنّ سفر دانيال لم يُكتب قبل سنة 168 ق.م قد جعلتم قيام الممالك الأربع في خبر كان حين كتابته, فوضعتم الكاتب في وضعٍ عليه فيه أن يتكهّن بالمستقبل بناءً على ما مضى وبالنّسبة إليه, فكان الماضي يوحي بقيام الممالك وسقوطها, كما صار في السّنين الأربعمائة المنصرمة قبل ذلك, ولكنّه تنبّأ بأن لا تقوم مملكة خامسة, بخلاف ما يعلّمه أيّ فيلسوف, فمن الواضح أنّ كاتب دانيال كان له علمٌ لم يتسنَّ لغيره أن يعلّم به, فمن أين أتاه؟

ومن الجهة الأخرى إذا كان دانيال قد كتب سفره حوالي سنة 540 ق.م, مثلاً, لم يكن لديه ما يدلّ على تعاقب الممالك العالميّة الواحدة تلو الأخرى, لأنّ الأمم العظيمة التي ملكت إلى ذلك الحين وإن كانت قويّة لم تُعتبر عالميّة, فلم تكن سوابق التّاريخ التي يبني عليها النّبيّ تكهّناته قد تثبّتت بعد, أمّا في سنة 168 ق.م فقد تثبّتت, وخالفها دانيال وتنبّأ بأنّ مملكة عالميّة أخرى بعد رومية لا تقوم, فأزلتم معضلة وخلقتم أخرى لا تقدر الحكمة البشرية أن تحلّها.
وليس ذلك فقط, تأمّلوا الحالة الرّاهنة اليوم التي صوّرها دانيال منذ ألفي سنة, بل تأمّلوا حيرة القارىء الذي عاش في سنة 100 ق.م وقرأ نبوّة دانيال أن لا تقوم مملكة عالميّة أخرى إلى أن ينتهي العالم ويأتي ملكوت يهوه, وتصوّروا ضحك المستهزئين ممّا يعتبرونه جهالة بالنّسبة لهذه النّبوّة.

أمّا اليوم فينظر المؤمن والملحد معاً إلى التّاريخ من هنا حتّى أيّام دانيال فيتّفقان بأنّ مملكة عالميّة غير رومية لم تقم,اقرأوا, أيّ تاريخ تشاءون, وبنوعٍ أخصّ اقرأوا تاريخ ذلك الملحد الشّهير غيون تروا أنّه ما كتب إلّا تعليقاً على ما سبق وكتبه دانيال.
ليخبركم غيون كيف غزا برابرة الشّمال رومية وتدفّقوا عليها تدفّق السّيل وفي القرن الرّابع والخامس جرفوا المملكة الغربيّة أمامهم, ولكن لم يبلغ أحدهم أوج السّلطة العالميّة ,وليس أنّهم لم يحلموا بذلك, فإذ تقرأون تاريخ ألف وخمسمائة سنة مضت منذ أن سقطت المملكة الرومانيّة ترون مرسوماً فيه فشل الذين سعوا لتوحيد المملكة وإيجاد سلطة عالميّة, فقام شارلمان ولويس الرّابع عشر وشارل الثّاني عشر السّويدي وشارل الخامس ونابّليون وقيصر وغليوم الثّاني والسّيّد هتلر, وأرادوا جميعاً أن يرتدوا ثوب القياصرة, ولكنّهم فشلوا في بلوغ الغاية.
هذا, ولم يقتصر دانيال في نبوّته على القول أنّ مملكة عالميّة أخرى لا تقوم بعد الرّابعة بل أنبأ بتقسيم المملكة إلى عدّة ممالك صغيرة تبقى باستثناء البعض حتّى نهاية العالم.
تصوّروا حراجة موقف المؤمن لو ظهرت في ثنايا التّاريخ بعد تقسيم رومية دولة أخرى, لو ظهر فاتح جديد كالاسكندر,مثلاً, فقهر الأمم وأقام منها مملكة جبّارة تخضع لمشيئته, ماذا عساه يقول؟ هل في وسع أحد الملحدين الموجودين ههنا أن يقول أنّ النّبوّة قد فشلت, أم تعترفون أنّها أصابت كبد الحقّ.
جال في خلد كلّ ملكٍ عظيمٍ وقائدٍ جبارٍ أنّه لابُدّ من قيام شخص يفرض إرادته على العالم أجمع, ولمَ لا يكون هو ذلك الجبّار, فلو نجح أحدهم في مراده, فكم كانت دعواكم قويّة على صحّة النّبوّة.
كلّما تمّت نبوّة صار إتمامها دليل على أنّها وحيٌ من يهوه, وكل إتمام جديد يزيد قوة البرهان أضعافاً."

الفصل السادس

الملحدون يشهدون لوحي الكتاب مكرهين

رحّب الحضور في الاجتماع التّالي بداود دير عند صعوده على المنبر بموجة من التّصفيق, فتبسّم الخطيب معترفاً بالجميل وقال:

"تأمّلوا في بابل العظيمة وهي في أوج مجدها, كيف بدت مدينة باقية تعمّر إلى الأبد, فقد ازدادت هذه "المذهّبة" قوّةً ومناعةً إلى أن صارت من عجائب الدّنيا السّبع, كانت قائمة بذاتها فلا تحتاج إلى التّموين من الخارج, وفي العلوم قد اخترعت الألف باء وجعلت من الصّرف والنّحو علماً منظّماً, وحلّت كثيراً من معضلات علم الحساب, وعرفت أسرار الهندسة في تشييد أعظم المباني الفاخرة من الطّين, أفقر موادّ البناء, وأتقنت تصقيل الحجارة الكريمة, وثقبها ونقشها, وفاقت غيرها في فنّ الرّسم فعرفت أن ترسم الجسم البشري والحيواني رسماً حيّاً, وتقدّم سكّانها في نسج القطن, وأدراكوا قيمة الضّبط في التّاريخ, وابتدعوا العدّة لقياس الوقت, وعرفوا حركات الأجرام الفلكيّة, وبالإجمال كانوا في طليعة الأمم حتّى أنّ اليونان أنفسهم أخذوا عنهم الكثير من فنونهم الجملية.

لم يشاهد العالم من قبل ما يماثل مدينة بابل أو يدانيها. فكان سورها يرتفع إلى مئة وأربع وثلاثين ذراعاً, وكان من السُّمك بحيث يسير عليه عدّة مركبات جنباً إلى جنب, وكانت قصورها الشّامخة وبروجها القويّة السّاطعة تبعث في نفس الرّائي الدّهشة والإعجاب, وهو على بعد أميال منها, وها هو هيكل بعل المتّسع وها هي الجنائن المعلّقة المشهورة ترتفع جلالياً إلى علوّ السّور نفسه.

ولم تكن بابل عروس العالم فحسب بل كانت تقع في بقعة هي من أخصب بقاع الأرض, يُقال أنّ هيردوتس المؤرّخ خشي أن يصفها كما هي لئلّا يكذّبه سامعوه"

وهنا كفّ الخطيب عن التكلّم لأنّ السّيّد أمرسون نهض وقام يقول:"ليس بيننا من يجهل هذه الحقائق عن بابل, وقد جئنا لنسمع تفنيد الإلحاد, لا لنصغي إلى محاضرة عن عظمة بابل الغاربة"

-"إنّني لمسرورٌ جدّاً لاعترافك بصحّة هذه الحقائق, إذ إنّ لها علاقة وثيقة بموضوعي, فقبل أن تصير بابل سيّدة العالم تكلّم عنها نبيٌّ قائلاً: إنّ "بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين تصير كتقليب يهوه سدّوم وعمورة"

إنّ هذه الجملة واضحة بسيطة بحيث تدفع ادّعاءاتك بأنّ نبوّات الكتاب المقدّس أشبه بعرافة دليفا التي كانت تصحّ سواء انتصر الذي تكلّمت عنه أم انكسر, فكأنّي بإشعياء يقول: "إنّي عالمٌ بعظمتك وعلوّ سورك, وأعرف قوّتك ومناعتك, وأنت أعظم المدن التي رآها العالم إلى الآن, ومع كلّ ذلك تصيرين كتقليب يهوه سدّوم وعمورة" فهل كان في إمكانه أن يعبّر عن مصيرها بكلمات أقلّ وأفصح؟

أجل, قد عرف يهوه, يا سيّد أمرسون, موقفك أنت والملحدين أمثالك, فجعل إشعياء يكتب ما كتب بوضوح لا تستطيع معه أن تقول أنّ في كلامه التباساً أو إبهاماً, ثمّ استطرد إشعياء يقول: "لا تُعمَّر إلى الأبد, ولا تُسكن إلى دور فدور, ولايخيّم هناك أعرابيّ ولا يربض هناك رعاة" (إشعياء 13: 20), فهل في هذه الكلمات إبهام أو تعقّد؟ هل يرى أحدكم أنّها غير مفهومة؟

"ولكنّنا لا نصل بعد إلى النّهاية, لأنّ الكلمات مع كلّ وضوحها رآها سامعوها في أيّامها كأنّها كلمات جنون ولا يمكن إتمامها, ثم جاء النّبيّ إرميا يؤازر إشعياء قائلاً: "تكون خراباً إلى الأبد" (إرميا 51: 26) "وتكون بابل قوماً ومأوى بنات آوى ودهشاً وصفيراً بلا ساكن" (عدد 37)

هل تشكّ في صحّة هذه النّبوّات, يا سيّد أمرسون؟"

-"يعلم الكلّ حتّى أولاد المدرسة الابتدائيّة بأنّ بابل لم تُسكن منذ أجيال عديدة, ولكنّنا لا نعلم أنّ هذه النّبوّات كُتبت قبل خراب بابل أم بعده" ثمّ جلس السّيّد أمرسون بين تصفيق الحاضرين إعجاباً منهم بهذا الاعتراض.

-"هل تجزم أنّ هذه النّبوّات لم تُكتب إلّا بعد أيّام السّيّد المسيّا؟"

-"كلّا, لأنّنا نعلم جميعاً بأنّها جاءت في التّرجمة السّبعينيّة أيضاً"

-"صحيح, ولمّا كان سفرا إشعياء وإرميا بين الأسفار المترجمة في السّبعينيّة فكتبا فعلاً قبل وقت التّرجمة, فمتى تمّت التّرجمة السّبعنيّة؟"

"حوالي 200 سنة قبل الميلاد" أجاب السّيّد أمرسون

-"حسناً, أقبل جدلاً أنّ هذه النّبوّات عن خراب بابل كُتبت في سنة 200 قبل الميلاد فهل تقبل أنت, يا سيّد أمرسون, أنّها لم تُكتب بعد ذلك التّاريخ؟"

-"نعم, أقبل ذلك"

-"هل يدّعي أحد الحضور ههنا أنّ هذه النّبوّات قد كُتبت بعد 200 ق.م؟ لا أحد, إذن قد اتّفقنا على أمرين, أوّلهما أنّ هذه النّبوّات صادقة, وثانيهما أنّها لم تُكتب قبل سنة 200 ق.م"

قام السّيّد أمرسون وقال: "إنّ تسليمك يا سيّد دير بأنّ هذه النّبوّات لم تُكتب قبل سنة 200 ق.م, هو تسليمك بالهزيمة"

تبسّم داود دير وقال: "بل إنّه يحرج موقف الملحد"

-"وكيف ذلك؟"

-"لسببٍ بسيطٍ جدّاً, هو أنّ هذه النّبوّات لم تتمّ إلّا بعد قرون من صلب السّيّد المسيّا, ويسلّم بذلك غلاة الملحدين أيضاً"

فغر الجميع أفواههم دهشةً عند سماعهم هذه الكلمة, ونظر جورج أمرسون إلى أخته رافعاً حاجبيه, أمّا لوسيل فتبسّمت وكأنّي بها قد خفق قلبها لاحتدام المعركة, ودلّت ملامح السّيّدة أمرسون على استيائها ونفورها, أمّا السّيّد أمرسون فانزعج في نفسه جدّاً, واشرأبّ الحضور باشتياق يتطلّعون إلى ما سيكون.
قالت لوسيل لجورج بصوت منخفض: "برهانٌ مقنع"
-"تمهّلي قليلاً, لم تفرغ كنانة الوالد بعد من الأسهم"
-"إن شاء يهوه"
استطرد السّيّد دير قائلاً: "وليس ذلك فقط, لأنّ الأنبياء لم يصفوا سقوط بابل فحسب, بل وصفوا أيضاً حالتها الحاضرة كما هي اليوم, وذلك بعد مضي أكثر من ألفي سنة على التكلّم بنبوّاتهم, أرجو أن تقرأوا بإمعان الآيات التّالية ذكرها: إشعياء: 13؛ 14: 21 - 21 ؛ 21 : 1- 10 ؛ 47: 11؛ وإرميا 25 : 12- 14؛ 50: 51, إنّ التّفاصيل العجيبة التي نجدها في هذه النّبوّات تملأ وحدها مجلّداً, أرجو من الذين يعتقدون أنّ هذه الآيات غامضة أن يرفعوا أيديهم" ولكنّ يداً واحدة لم تُرتفع.
"إذن, أرجو من الذين يرونها واضحة جليّة, أن يرفعوا أيديهم" ارتفعت أيدي الحاضرين جميعاً, "إنّنا بنفسٍ واحدة" قال الخطيب, "ولمّا كان المُسلّم به أنّ هذه النّبوّات تمّت بعد كتابتها بقرون؟ هل من أحدٍ يريد أن يقول أنّها كتبت بعد إتمامها؟ إذا كان بيننا أحد على هذا الرأي فليتفضّل ويرفع يده" ولم يرفع أحد يده
"نريد أن نكون على بيّنة من هذا الأمر, فالذي يسلّم بأنّ النّبوّات واضحة جليّة وكُتبت قبل حدوث ما تنبىء به فيها فليرفع يده" وفي الحال رُفعت الأيادي جميعاً
التفتت لوسيل وأخوها إلى ما وراءهما ورأيا الأيادي ترتفع فتبسّما وقالت لوسيل "ربح داود دير الجولة الأولى"
تحيّر السّيّد أمرسون, فقال جورج: "هي أوّل مرّة في حياتي رأيت الوالد فيها متحيّراً كما هو اليوم" ثمّ انحنى إلى ناحية والده وسأله قائلاً: "هل الحضور هنا في هذا المساء أكثرهم مسيحيّون, يا أبي؟"
"لا" قال السّيّد أمرسون وهو يقطّب جبينه, "ولذلك أستغرب تصويتهم هذا, أنا أعرف أكثر الموجودين, وهم ملحدون أكثر منّي, ولكنّهم الآن صوّتوا بالإيجاب"
-"هل تقدر أنت أن تصوّت بالنّفي؟"
-"إذا اعتبرنا القالب الذي صبّ فيه سؤاله, لا ولكنّنا لم نضق ذرعاً بعد" وهنا استأنف داود دير كلامه قائلاً: "حيث أنّ الجميع يسلّمون بصحّة هذه الحقائق, كيف تعلّل أنت يا سيّد أمرسون, إتمام النّبوّات هذا العجيب؟"
فقال السّيّد أمرسون: "كان هؤلاء الأنبياء غلاةً في التّديّن, ورأو أنّ شرّ هذه المدن الكبرى قد كثر, وكانت بابل في نظرهم عنوان الشّرّ, فاعتقدوا أنّ يهوه لابُدّ أن يغضب عليها ويوماً ما يدمّرها, فكانوا يتنبّأون بما كانوا يعتقدون ويتمنّون, وليس لأنّهم علموا شيئاً عن المستقبل بإلهام إلهي"
جلس السّيّد أمرسون, وهمست ابنته لوسيل في أذنه "أحسنت يا أبي"
فردّ السّيّد دير: "كلامك يظهر لأوّل وهلة أنّه صحيح ولكن لنتأمّل بعض الحقائق ذات الشأن والعلاقة, إذا قلنا أنّ سنة 200 ق.م.
هي بالتّقريب سنة كتابة هذه النّبوّات, فكانت روما, آنذاك أقدم من مدينة نيويورك اليوم, لأنّها تأسّست في سنة 752 ق.م, ثمّ نمت وازدهرت إلى أن زادت عن بابل قوّةً وسلطةً وشرّاً, ولم يتنبّأ أحد بخرابها, ولها اليوم أكثر من 2700 سنة من العمر, فإذا كان غلاة التّديّن يرغبون في خراب بابل, فلماذا لم يريدوا خراب روما أيضاً؟
إنّي أرى أنّ جواب السّيّد أمرسون لا يخلو من الاعتراف بأنّ الأنبياء كانت لديهم مساعدة إلهيّة, لأنّه بنى إيضاحه على التّحمّس الدّيني الذي كان من الحدّة بحيث مكّنهم من معرفة المستقبل معرفة غريبة, ولكنّنا نرى في نبوّاتهم شيئاً أكثر من هيجان ديني ولّده اليأس والبغض لأنّه إذا كان الحماس الدّينيّ قد مكّن إشعياء وإرميا من التكهّن بتدمير بابل فما هو الذي عرّفهم بتفاصيل نبوّاتهم؟
لأنّ أرضاً كهذه, يقطنها المتمدّنون, ومدينة "مذهّبة" كبابل مركزها أخصب بقعة من بقاع الأرض لا يتأتّى للذّهن البشريّ أن يتصوّرها تتحوّل إلى أرض قاحلة ومدينة غير مأهولة, بل بالعكس إذا قال أحد شيئاً كهذا يُقابَل كلامه بالاستغراب وعدم التّصديق, لأنّ مصيبة كهذه لم تأتِ على الأرض قطّ إلى ذلك الحين, لا على أوربّا ولا على آسيّا ولا على أميركا, لهذا اليوم إلّا على بابل.
إنّ بابل, مدينة البعل, عاصمة العالم وإحدى غرائبه السّبع, حاربت أورشليم محاربة المارد للقزم, فصار القزم طبعاً عبداً للمارد, ثم ما لبث أن تلاشى المارد كحلم في اللّيل, أمّا أورشليم فبقيت مؤهّلة لهذا اليوم. إنّ هذه الحقائق التي أنبأ بها الأنبياء القدّيسون لا تُفَسّر بقولك أنّها من حماسة غلاة التّديّن
(لا تُسكن) قال الأنبياء, وما أصدق القول, وليس ذلك فقط, فإنّ مدن العالم المهمّة تقع عادةً في أماكن لها ميّزاتها الطّبيعيّة الخاصّة, حتّى أنّ سكّانها لا يتركونها أبداً, وإن أصابها خراب يعودون فيبنونها في مكانها, مثل دمشق والقدس وأثينا وروما وأنطاكيّة والاسكندريّة و بيزنطيّة وصيدا, مدن بقيت مأهولة لهذا اليوم ولها شأنها, في حين أنّ بابل, أعظم المدن على الإطلاق وأغناها, اختفت وطواها النّسيان, فإلامَ تعزون ذلك مع العلم أنّ النّبوّات أخبرت به منذ زمان هذه مدّته؟"
وإذ لم يجب أحد تابع الخطيب كلامه قائلاً: "ليس أنّ هذا هو الكلّ, لأنّنا نقرأ أيضاً في (إشعياء 13: 20) "لا يخيّم هناك أعرابيّ", في وقت كانت بابل سيّدة العالم,منذ ألفين وخمسمائة سنة, كان الأعراب يذهبون ويجيئون من البادية, واليوم ولا يوجد بابلي على وجهة الأرض, لم يزل الأعراب يروحون ويؤوبون ويخيّمون في أماكنهم, كما كانوا يفعلون من بدء التّاريخ

كيف عرف النّبيّ إشعياء أنّ الأعراب يخافون من التخييم بالقرب من المنقلبة إلى يومنا هذا؟ لأنّه وإن كان أهل الحلّة والقرى المجاورة لها يخيّمون في أنقاض بابل ويسكنون خرائبها, إنّما البدو لا يخيّمون هناك, فكيف عرف النّبيّ إشعياء ذلك منذ أكثر من ألفي سنة؟"

فنهض السّيّد أمرسون وقال: "لنفرض أنّ الحقائق التي ذكرتها تدعو إلى العجب ولكنّك لا تطمع في إقناعنا بأنّ هذه المصادفات أو"الأحزورات" هي نبوّات, ألم تفرغ جعبتك من أسهم تستعيرها من بابل وبها تدافع عن النّبوّات؟"

-"إنّي لم أكد أبدأ ببحث النّبوّات العجيبة عن بابل التي لو جمعنا تفاصيلها لملأت كتاباً ضخماً وكلّ منها برهان قاطع يثبت صحة النّبوّات, ولكنّي أقتصرعلى بحث واحدة أخرى منها فقط, نقرأ في (إرميا 51: 58) "إنّ أسوار بابل تُدمّر تدميراً" مضت أجيال بعد هذه النّبوّة كانت أسوار بابل, وهي أقوى أسوار أقيمت حول مدينة, تعتبر من خلالها من عجائب العالم السّبع"

قاطعه السّيّد أمرسون قائلاً: "لا شيء يدعو إلى العجب بشأن هذه النّبوّة أو إتمامها, فالذي يتنبّأ بتدمير مدينة يتكهّن بنفس المصير لأسوارها"

-"لقد فاتك أنّ كافّة المدن القديمة كانت محاطة بأسوار, وأنّ مدناً لم تكن لأسوارها من القوّة ما كان لأسوار بابل قد خربت وبقيت أسوارها محفوظة تحت الأنقاض, مثلاً, لو استطعت, يا سيّد أمرسون, أن تقول لهذا الجمع أنّك رأيت أسوار بابل قائمة فوق السّهول المجاورة كأهرام مصر, فأنّك تكون بذلك قد صوّبت ضربة قاضية نحو الكتاب المقدّس, ولكنّك لا تستطيع ذلك لأنّ النّبي صدق في ما قال شأن النّبوّات في جميع ما تقول.

لقد أعطى لنا الأنبياء صورة جليّة واضحة لما تكون عليه بابل بعد خرابها, ولا يستطيع المؤرّخ أن يصف بابل الآن بغير الوصف الذي وصفها به إشعياء وإرميا وحزقيال منذ أكثر من ألفي سنة, قد نعتقد بأنّ أحد الأنبياء كان بارعاً وأنّ صدق نبوّاته كان مجرّد صدفة ولكنّ اعتقادك هذا لا يثير إلّا الاستغراب سنتكلّم في المرّة القادمة إن شاء يهوه عن أجلّ المواضيع وأعظمها السيّد المسيّا, قلب النّبوّة"

الفصل السابع
السيّد المسيّا, قلب النّبوة والتّاريخ

من بين الذين بكّروا إلى الحضور في الاجتماع التّالي كان السّيّد أمرسون وأسرته, ومع أنّهم بكّروا جدّاً فإنّهم عند وصولهم إلى القاعة, وجدوا فيها جماعة كانوا يتباحثون باهتمام في الحقائق التي كانوا قد سمعوها في المحاضرات السّابقة.
"أكبر ظنّي أنّ القاعة تزدحم اللّيلة" هذا ما قالته لوسيل إذ رأت التّهافت الشّديد على المكان.
فعقّب السّيّد أمرسون: "هذا أمرٌ طبيعيٌّ لأنّ الموضوع اللّيلة أهمّ المواضيع على الإطلاق"
سألت لوسيل: "أهمّ موضوع في هذه السّلسة, يا أبي"
فردّ السّيّد أمرسون برزانة غيرعادية: "لا, يا ابنتي, أهمّ موضوع في العالم أجمع وفي الحياة كلّها"
نظر إليه جورج ولوسيل بملء الدّهشة "ولكن كيف يا أبي, ألست أنت ملحداً, بل في طليعة الملحدين؟"
-"بلى, هو ذاك, إنّما لا يمنعني إلحادي عن إدراك الحقيقة أن ليس في الحياة كلّها موضوع يقارب في خطورته موضوع السّيّد المسيّا في حياته وموته وقيامته, حسب نصّ الإنجيل"
بقيت لوسيل تنظر إلى والدها كمن لا يصدّق أذنيه, ثم سألت: "هل يشاركك كثيرون من الملحدين في رأيك هذا, يا أبتاه؟"
-"نعم, إن لم يكن كلّهم فجلّهم, لأنّ القادة هكذا عبّروا عن أفكارهم"
أثناء هذه المحادثة التي أصغى إليها جورج ووالدته منذهلين ازدحمت القاعة بالنّاس وقام الدّكتور مورلي يقدّم للحضور الخطيب, داود دير, الذي بدأ قائلاً:
"إنّه في نيّتي أن أشير إلى جزءٍ ضئيلٍ فقط من الأدلّة التي تخصّ موضوعي المهمّ اليوم, وأكثر المصنِّفين قد عالجوه علاجاً مستفيضاً في كتبهم الثّمينة ويجدر بكم مطالعتها.
استشهد السّيّد المسيّا بالأنبياء إثباتاً لأقواله العجيبة, بل كثيراً ما استند إلى أقوالهم وحدها في إقامة الدّلائل على كونه المسيّا الموعود به, والآيات التي تشير إليه في أسفار العهد القديم تربو على الثّلاثمئة آية, يقتبسها العهد الجديد قائلاً أنّها تمّت في سيّدنا يهوشوه المسيّا.
لا يقدر أحد أن يقول أنّ هذه النّبوّات قد كُتبت بعد أيّام السّيّد المسيّا,لأنّ آخر سفر من أسفار العهد القديم, نبوّة ملاخي. قد كُتبت قبل ولادة يهوشوه بنحوٍ من 400 سنة, أو, إذا قبلنا رأي غلاة النّقّاد فتكون 168 سنة قبل الميلاد, وعليه فلم يكن شيء من التّواطؤ بين أنبياء العهد القديم ومبشري العهد الجديد على ما يكتبون.
في أوّل عظة ألقاها السّيّد المسيّا في مدينته, النّاصرة, استشهد بنبوّة إشعياء وقال: "اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم" (لوقا 4: 21), ووبّخ التّلمذين قائلاً لهما: "أيّها الغبيّان والبطئيا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلّم به الأنبياء" (لوقا 24: 25) ثمّ كأنّي به يريد أن يعلّمهما كيفيّة درس الكتاب المقدّس, فابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسّر لهما الأمور المختصّة به في جميع الكتب. (لوقا 24: 27).
إنّه بالرّغم من استهانة الملحدين بالنّبوّة, فإنّهم يسلّمون بأنّ العهد القديم يتضمّن إشاراتٍ كثيرةً إلى مجيء شخصيّة عظيمة, ويعلمون كذلك أنّ الشّعب اليهوديّ كان ينتظر مسيّا بشوقٍ شديد, وكانت الأمم المجاورة لهم, وهم أعداؤهم, تعرف ذلك وتعيّرهم به.
من المواعيد التي بنى عليها اليهود انتظارهم لمجيء مسيّا كان الوعد بنسل المرأة في (تكوين 3: 15), ثمّ الوعد لابراهيم أنّ في نسله تتبارك جميع أمم الأرض, (تكوين 22: 18) ثمّ الكلمة أنّ يهوذا يحفظ نظامه كسبط إلى أن يأتي شيلون, (تكوين 49: 10) وأنّ يهوه لابدّ من أن يقيم لهم نبيّاً مثل موسى, (تثنية 18: 18), نبوّة أشار الرّسول بطرس إلى إتمامها في (أعمال 3: 22).

وممّا تجدر بنا ملاحظته أنّ النّبوّات شملت الأمم بالبركة, الأمر الذي مقته اليهود, ومع ذلك كتبوا هذه النّبوّات وحافظوا عليها, "قد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض" (إشعياء 49: 6) وفي (60: 3) منه قال "فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك".
احتوت النّبوّات على أشياء كثيرة هي, حسب الظّاهر, تناقض بعضها بعضاً, فإنّ في (إشعياء 9: 6) ,مثلاً, يقول أنّ المولود طفلاً هو إلهٌ قدير, وأنّ الابن الذي نعطاه هو أبّ أبدي.
وفي الإصحاح الثّالث والخمسين من نبوّة إشعياء نقرأ أنّ المسيّا الآتي يُقطع من أرض الأحياء وهو شابٌّ, لا نسل له, ومع ذلك تطول أيّامه, ويشبع نسلاً, وأنّه يُقتل كمجرمٍ ويدفن في قبر غنيٍّ, ويكون محتقراً منبوذاً ويبرِّر كثيرين, ويُحسب مذنباً ويشفع في المذنبين, إنّها تناقضات غريبة.
اعتبر كثيرون من اليهود أنّ شخصيّة واحدة لا تقدر أن تتمّم كلّ هذه الأوصاف التي تنبّأ بها الأنبياء لذلك قالوا بوجوب قدوم شخصيّتين, ولكن بعد أن جاء السّيّد المسيّا ورأينا فيه كلّ هذه الصّفات بكاملها لم نرَ بعد فيها تباينات ولا حسبناها بعد تناقضات
إنّه لمن المُسَلّم به أنّه قبل مجيء المخلص بقرون تنبّأ بعض كُتّاب اليهود بأنّ واحداً منهم, وهم أمّة صغيرة حقيرة, سيصير بركة لجميع أمم الأرض, ويعترف حتّى غلاة الملحدين, كما سنبيّن فيما بعد إن شاء يهوه, أنّ السّيّد المسيّا كان ولم يزل بركة للجنس البشري أجمع وليس له نظير في هذه البركات.

علّلوها كيف شئتم, الحقيقة بارزة ناصعة, إنّ هذا اليهوديّ الأمّيَّ, من هذا الجنس الذليل المحتقر, قد صار بركة عظيمة لكلّ أمّة على وجه البسيطة, فقد أصبحت هذه النّبوّات الغريبة امراً واقعاً لا ينكر.

جاء السّيّد المسيّا في الوقت المعيّن في النّبوّات, فجاء قبل تدهور سبط يهوذا, وقبل خراب الهيكل في القدس (أورشليم), حسب ما سبق فقال: "إنّي أزلزل كلّ الأمم, ويأتي مشتهى كلّ الأمم... ومجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأوّل قال سيّد الجنود" (حجّي 2: 7- 9).
وعيّن دانيال السّنة التي يظهر فيها المسيّا, وسنة صلبه, انظر أيضاً (دانيال 9 :24- 27) مع (عزرا 7: 11- 26) والسّنة السّابعة من ملك أرتحشستا المذكورة هنا هي سنة 457 ق.م.
وهذه الأسابيع التّسعة والسّتون وهي أسابيع سنين لا أيّام, (قابل حزقيال 4: 6) أي 483 سنة, ابتدأت في سنة 457 ق.م, وامتدّت إلى سنة 27 م وفي تلك السّنة اعتمد يهوشوه وعند اعتماده مسحه الآب بالرّوح القدس, (متى 3: 16)؛ (أعمال 10: 38) ثمّ في منتصف الأسبوع الأخير من السّبعين, أي في سنة 31 م "قطع المسيّا وليس له", وأبطل الذّبيحة والتّقدمة, (متّى 27: 51)
إنّ هذه الحقائق كلّها تنطبق كلّ الانطباق على حوادث حياة السّيّد يهوشوه المسيّا, ولا توافق تاريخ حياة غيره, فهي إذن نبوّات قيلت وحوادث تمّت برهاناً ساطعاً على أنّ النّبوّات هي وحي يهوه.
في أيّام السّيّد المسيّا, قبله وبعده, ظهر مسحاء كذبة كثيرون, ولشدّة اعتقاد اليهود أنّ الهيكل يبقى إلى أن يأتي المسيّا, مع أنّهم قد نبذوا المسيّا الحقيقي وهم لا يدرون, حاربوا الرّومان مستميتين, وأبوا أن يقبلوا شرط تيطس القائد الرّوماني إلى أن خرب الهيكل والمدينة والأمّة.
دعوني ألّخص لكم بعضاً من هذه الحقائق البارزة:
1. "تنبّأ أنبياء اليهود أثناء ألف سنة بأنّ واحداً من الأمّة سيكون بارّاً كلّ البرّ"
2. "قالوا أنّه سيكون نبيّاً"
3. "ومع أنّ المسيّا تنبذه الأمّة اليهوديّة وتقبله الأمم"
4. "أنّه يكون بركةً لكلّ الأمم"
5. "أنّه يأتي في زمنٍ معيّن"
6. "أنّه يُقتل"
7. "وأنّ موته يكون كموت مجرم"
8. "أنّ إتمام هذه الحقائق جميعها مشهودٌ لها من كتّاب بارزين غير مؤمنين"
9. "أنّه وهو إنسان سامي الأخلاق يكون أيضا الإله"
10. "أنّ هذه الصّفات جميعها قد ظهرت في السّيّد يهوشوه المسيّا ولم تظهر قطّ في غيره"
11. "أنّ نظام أفلاطون, أو نظام كارل ماركس, مثلاً, أو تعليم بوذا أو فلسفة كونفوشيوس, أو ادّعاءات غيرهم ليست مرهونة في صحّتها أو عدم صحّتها بكونهم رجالاً أتقياء خالين من الخطأ, أمّا المسيحيّة فلو ظهر في أخلاق السّيّد المسيّا أقلّ شائبة لكانت كافية لهدم النّظام المسيحي من أساسه".

إنّ شخصيّة السّيّد المسيّا وصفاته لهي أساس المسيحيّة, ويعلم الملحدون ذلك جيّداً, ومع ذلك لا يذمّونه, بل هم يتّحدون في مدحه, لأنّه شخصيّة جذّابة محبوبة جميلة قويّة كاملة, وصفاته إلهيّة وصورة طبق الأصل, حتّى أنّ الذين يأخذون في البحث في شخصه وتعاليمه بغية كشف العيوب والتّشهير بها ينتهون غالباً إلى امتداحه وغالباً التّعبّد له.
يملأ السّيّد المسيّا أسفار العهد القديم أيضاً ملء الدّم للعروق, إنّه الحلقة الذّهبية التي تصل ما بين أجزائها, والنّور الذي يكشف خفاياها, إنّه مفتاح أسرارها العميقة, والنّغمة التي ينسجم بها جميع ألحانها, إنّه قلب كلّ نبوّة, وهدف كلّ سفر منها"
هنا نهض السّيّد أمرسون وطلب الكلام, فالتفت إليه السّيّد داود وأومأ إليه أن يتكلّم.

-"لم أقاطعك, يا سيّد دير, لأنّي أحترم السّيّد المسيّا كلّ الاحترام, ولا أريد أن أبدو معارضاً خسيساً, إنّما برهانك, وإن كان الحديث فيه لذيذاً ولا يسهل إنكاره, أراه غير مقنع, لأنّ (تكوين 3: 15) ,مثلاً, "أضع عداوةً بينك وبين المرأة, وبين نسلك ونسلها...." الخ, يُلَوَّح لي أنّه أساسٌ واهٍ, لا يصلح أن تبني عليه نبوّة عن السّيّد المسيّا, وأكثر شواهدك كانت مماثلة لهذه"
"إنّي على اتّفاقٍ تامٍّ معك" قال داود دير.
فغرت لوسيل فاها دهشةً وكذلك جورج وأكثر الحضور ضجّوا استغراباً لمّا سمعوا هذا الاعتراف من الخطيب
قال السّيّد أمرسون: "تتّفق معي, يا للغرابة, إنّني لا أفهم ماذا تقصد"
-"ومع ذلك فإنّي أرى رأيك, لأنّ نبوّة واحدة من الثّلاثمائة نبوّة عن السّيّد المسيّا لا تكفي وحدها لإثبات الحقيقة أن يهوشوه كان المسيّا المُنتَظَر, ولكنّها مثل خيوط الحبل إذا أخذناها منفردة تكون قوّتها قليلة, أمّا إذا فتلناها مع غيرها كوّنت حبلاً لا ينقطع, وسنفتل في حبل برهاننا خيوطاً أخرى إن شاء يهوه.
إذا أردنا تقديم تأثير السّيّد المسيّا في التّاريخ ينبغي أن نقارن بينه من جهة, والأخلاقيين والفلاسفة القدماء من جهة أخرى, لأنّه إذا قام إنسانٌ بجمع تعاليم الفلاسفة كافّة واختار منها المفيد ونبذ البذيء والفاسد والسّخيف والضارّ بالأخلاق والمجتمع لاعتُبر ذلك عملاً عظيماً جدّاً, أمّا إذا قام شخصٌ فردٌ يجهل أقوال هؤلاء الفلاسفة, ونظم خلافاً لعادات بلاده ومأثوراتها تعاليم أسمى بكثير من سواها, فهذا يكون عملاً جديراً بكلّ مريد للحقّ مُخلِصٍ في درسه"

سأل السّيّد أمرسون: "هل تعني ضمناً أنّ تعاليم الفلاسفة مُفسدة, وأنّ معلّمي الأخلاق عديمو الأخلاق؟"
-"نعم, هذا ما أقصده تماماً, لأنّه لم يقف أحد الفلاسفة الوثنيين يوماً ما في وجه الرّذيلة ولم يوبّخ أحدهم الفساد الرّائج في بلاده في أيّامه, ولم يقم أحد الأخلاقيين في منع قساوة اللّعب في جعل المأسورين يتقاتلون بالسّيوف فرجةً للنّاس, ولم يسعَ فيلسوف في كبح جماح الشّهوات الرّديئة, أو في إغلاق بيوت الدّعارة, فكانت الدّيانات الوثنيّة تبيح العهارة والبَطَر, ولم يرفع فيلسوفٌ صوته احتجاجاً عليها"
قاطعه السّيّد أمرسون قائلاً: "هل يصدق ما تقول في أفلاطون وسقراط وسنيكا؟ قد تبرّر أولئك من هذه النّقائص على ما أظن أليس كذلك؟"
هزّ الخطيب رأسه وقال: "بكلّ أسف, لأنّ أفلاطون وافق على الإفراط في شرب الخمر خصوصاً في عيد باخوس الشّائن وأرشد هو وأريسطوطاليس في قتل الأولاد الذين يظهر عليهم الضّعف ونصح أفلاطون وأريسطوطاليس وأبيكتات, وغيرهم من مشاهير الفلاسفة بإبقاء النّاس على عبادة الأوثان, وعلّم ذيوجين وسقراط بممارسة الشّهوات البهيميّة, بل ومارساها, ومدح كاتو الشبّان كونهم يتردّدون على بيوت الدّعارة, وأوصى أفلاطون بإقامة محلّات للمومسات, وأن لايُمنع عن العساكر الجنود أقبح الشّهوات, وكانت هذه الأمور تجري ضمن القانون, وفي حمايته, ولم يحرِّم سولون المشترع الشّهير الشّهوات إلّا على العبيد, وأخيراً أقول, إنّ زينو مؤسّس فلسفة الرّواقيين وكان كبيرها وسنيكا الأخلاقي الشّهير في أيّام نيرون ماتوا جميعاً منتحرين
وما فعله أولئك القدماء وشجّعوا غيرهم عليه, وهم زينة الفلاسفة, لا يَصحّ أدبيّاً أن يُقال أمام جمهورٍ مختلط من الرّجال والنّساء, ولا في أيّ جمهورٍ بأيّ حالٍ من الأحوال"
فاحتجّ السّيّد أمرسون: "ولكنّهم علّموا بأشياء كثيرة حسنة"
-"نعم, وهو كذلك, وهذا هو ما أرمي أنا إليه, فإنّ أولئك كانوا أعظم النّاس في أيّامهم, وأعطوا العالم أحسن ما عندهم, وكان هذا الأحسن من الضآلة والزّهد ما ترك العالم في أسوأ حالة.
ولكن, كما يسلّم به الملحدون, وكما سأبيّن فيما بعد أنّ السّيّد المسيّا رغم عدم تحصيله ثقافة دنيوية فقد تفوّق على الفلاسفة, ومعلّمي الأخلاق جميعهم حتى أنّهم أمسوا لا قيمة لهم, ولا وزن بالقياس إليه"
قام السّيّد أمرسون أيضاً فقال: "قد قدّمت لنا برهاناً كافياً مقنعاً بأنّ نبوّات العهد القديم قد تمّت جميعاً في السّيّد المسيّا, إنّما لا يدلّ ذلك على أنّه هو مؤسّس المسيحية"
-"إذن, فلندرس تأسيس المسيحيّة قليلاً, لا سبيل لإنكار, وجودها, ووجودها دليل على أنّها أنشئت على صورة ما, إذ كان مؤسّسها إمّا السّيّد المسيّا وإمّا محتالين.
ومنذ بدئها اعترض انتشارها صعوبات وأخطار جمّة, فكان اليهود يعتبرونها مخالفة لإيمانهم ومنافية لآمالهم, لأنّهم انتظروا مسيّا يحرّرهم من رقّ الرّومان وكانوا يغتاظون لمجرد الفكر أنّ آمالهم هذه قد تخيب, واعتبروا المسيحية بدعة وعثرة في سبيلهم, وامتعضوا من نظريّة اشتراك الأمم في ملكوت يهوه.
أمّا هذه فكانت أولى الصّعوبات, لأنّ المسيحيّة كانت تقاوم الدّولة, الحاكمة العالميّة - رومية - وذلك برفضها اعتبار أنّ الامبراطور من بين الآلهة, ونبذت عبادة الأوثان على ألوانها ولم تقبل المساومة بل استنكرت كلّ إله غير الخالق, ونتج عن انتشارها هدم المذابح والهياكل, فكسبت عداوة الوثنية الرّاسخة في قلوب أكثر سكّان العالم.
ولم تكن المسيحية مجرّد معتقد جديد يأخذ مركزه بين المعتقدات الألوف الشّائعة, بل كانت وحيدة لا تعطي لغيرها مجالاً معها إذ حكمت على الجميع بالبطلان, وكان القدماء يعتبرون الدّين شعبةً من الدّولة حتّى أنّ هجوماً على الدين يعتبر هجوماً على الدّولة وقصاص هذا الهجوم كان الموت.
أضف إلى ذلك أنّ الكُتّاب وثنيين كانوا أم يهوداً, يتّفقون على أنّ السّيّد المسيّا صلب في أورشليم في أيّام ولاية الوالي الرّوماني بيلاطس البنطي, ولم يشكّ أحد قطّ في صحّة العهد الجديد, ولا بليني في القرن الأوّل, ولا كلسوس في القرن الثّاني, ولا بورفري في القرن الثّالث, ولا يوليان في القرن الرّابع, ولا ادّعى أحدٌ أبداً أنّه من وضع أحد غير كتابه, ولكنّهم اتّفقوا جميعاً على أنّ في سلطنة طيباريوس قيصر أخذ جماعة يؤسّسون ديانة جديدة, واحتملوا في قيامهم بتأسيسها المشقّات, وعانوا الشّدائد, وبنوا إيمانهم وعملهم على أنّ رجلاً كان قد أُعدم كمجرم قام أيضاً في اليوم الثّالث من بين الأموات, وهذه القصّة الغريبة قلبت العالم رأساً على عقب, وغيّرت مجرى التّاريخ, وأفادت ألوفا من البشر فالذي يؤمن بالإنجيل له البرهان الكافي أنّ السّيّد المسيّا نفسه هو مؤسّس الدّيانة المسيحيّة.
يعترف غلاة الملحدين أنفسهم بأنّ يهوشوه هو مؤسّس المسيحيّة, وبأنّ حياته كان لها التأثير الجميل الفعّال في رفع مستوى العالم"
وهنا قام أيضاً السّيّد أمرسون معترضاً فقال: "أشرت مرّاتٍ عديدة إلى ما أنت قاصد أن تثبته من أفواه الملحدين, ولكنّك إلى الآن لم تستشهد بأحدهم, متى تقدّم لنا هذا البرهان؟" وتبع سؤاله هذا ضجّة استحسان من الحضور
-"في المحاضرة التّالية, إن شاء يهوه, أطلب منك أنت يا سيّد أمرسون أن تقرأ ما يقوله الملحدون في كتبهم التي سأحضرها معي, حتّى عند قراءتك تلاحظ أنّي لا أحرّف شيئاً من كلامهم, فإلى اللّقاء"

الفصل الثامن

الملحدون يشهدون للسيد المسيا

عندما تربّعت أسرة أمرسون في مقاعدها مالت لوسيل نحو والدها وهمست في أذنه قائلةً: "أتعتقد, يا أبتاه, أنّ السّيّد دير يستطيع حقيقةً أن يقدّم البيان بأنّ الملحدين يعترفون بأنّ السّيّد المسيّا أعظم شخصيّة شهدها العالم؟"

قطّب السّيّد أمرسون جبينه متحيّراً وقال: "لست أرى كيف يقدر أن يفعل ذلك, إلّا ويضطر الملحدين أن يصيروا مؤمنين"

كان جورج يصغي إلى حديثهما فقال: "قد يستشهد بالكُتّاب الصغار"

تأمّل السّيّد أرسون في هذه الكلمة هنيهة, ثم قال: "الحقّ معك يا جورج, هذا ما يفعله بالتّأكيد"

فقالت السّيّدة أمرسون: "لاحظت أنّ السّيّد دير قد وفى بما وعد به, بل زاد, وأنا واثقة بأنّه يحضر أشهر الملحدين للشّهادة ويقتبس أقوال ثقاتهم فقط"

نظر إليها سائر أعضاء الأسرة باستغراب بالغ وصاحت لوسيل قائلة: "ماذا جرى يا أمّاه هل أقنعك أنت؟"

"لا, يا لوسيل, ولكنّي لاحظت أنّه لِلآن قد هدم جميع مساند الإلحاد المتينة واحداً فواحداً, لم يبقَ لهم مسنداً إلّا وتداعى للسّقوط, وترون أنّه يكمل عليهم بواسطة الملحدين أنفسهم"

عند سماعهم هذه الكلمات زادت دهشتهم, لأنّ السّيّدة أمرسون كانت معروفة بوداعتها وهدوئها, فطفق جورج يحتجّ على كلامها إلى أن قالت لوسيل:

"صه, قد حضر الخطيب"

شمل الخطيب الجمهور بنظرة ترحاب مبتسماً في وجوههم فقال:

"يسرّني جدّاً أن أراكم قد حضرتم مرّة أخرى. في الأحد الماضي تكلّمنا عن كتاب العهد الجديد, وقلنا أنّهم, وإن كنّا لا نستطيع نحن أن نستنطقهم ونستجوبهم فقد استجوبهم معاصروهم أيّ استجواب

استجوبهم أعداؤهم, حكماء اليهود, والمحاجّون الباهرون اليونان, والناموسيّون الماهرون الرّومان, بل وامتحنتهم النّيران والسّيوف والصّلبان والسيّاط والسّجون والموت, ومع كل ما لدينا من الوثائق التّاريخية, فما لنا وثيقة واحدة تعذّب مصنّفها عذاب كُتّاب الإنجيل فإذا كنّا نقبل كتب المؤرّخين الذين لم يمتحن صدق أقوالهم بمثل هذه الامتحانات, فبالأولى نقبل شهادة الذين جازوا وفازوا في كلّ امتحان ممكن.

لابدّ أن الشّخص الذي كتب عنه هؤلاء كان من أبراز الرّجال وأجذبهم وإلّا فما كان بعث فيهم هذه المحبّة والغيرة والحماسة, فكان من أعظم النّاس وأقواهم وأحبّهم حتّى أنّ ملحدي هذا العصر يعترفون ...."

هنا قاطع السّيّد أمرسون الخطيب قائلاً: "يا سيّد دير, قد كرّرت مثل هذه الكلمات مرّات عدّة ولكنّك للآن لم تقدّم لنا شيئاً من البرهان, ونحن قد صبرنا ونحترمك ونقدّر إخلاصك, ولكنّنا نريد برهاناً أقوى من ادّعاءتك"

دلّت موجة التّصفيق التي اجتاحت القاعة عند هذا الاعتراض وطغت على صوت الخطيب وهو يشرع في الرّدّ على أنّ الحضور نازلون على رأي المعترض ويريدون برهاناً لا كلاماً.

-"حسناً, الآن أقدّم لكم البرهان, أترجّاك يا سيّد أمرسون أن تتفضّل وتشرّفنا هنا على المنبر وتقرأ لنا من كتب الملحدين هذه التي اخترتها لأقدّمها لكم"

"بكلّ سرور" قال السّيّد أمرسون, وأخذ يشقّ لنفسه طريقاً بين النّاس قاصداً المنبر حيث رحّب به صاحب الكرسيّ الدّكتور مورلي والخطيب.

-"هنا كتاب, يا سيّد أمرسون نرجوك أن تخبر الحضور بما تعرفه عنه وعن مؤلّفه" تأمّل السّيّد أمرسون في الكتاب هنيهة ثم قال بصوت جهوريٍّ:

"إنّ هذا الكتاب هو الجزء الثّاني من "تاريخ الآداب الأوربية" والمؤلّف اسمه وليم ا.هـ.ليكي, وقد ألّف كتاباً أيضاً في قيام روح الاعتماد على العقل وتأثيره في أوربا وكان المؤلف إيرلندي النّبعة وسياسيّاً وفيلسوفاً وقد توفّي في سنة 1903م وكان في طليعة الملحدين في أيّامه وبلاده وله أربعة مجلّدات في وجوب اعتماد الإنسان على العقل وحده مرشداً له في معتقداته"

سأل السّيّد دير: "هل تعتبر السّيّد ليكي في مقدّمة الملحدين في أيّامه؟"

-"نعم, هو كذلك"

-"أرجوك أن تفتح الكتاب صفحة 8 و9 وتقرأ الكلمات المعلّم عليها هناك"

أخذ السّيّد دير يقرأ كما يلي: "قضي أن يكون من حظّ المسيحيّة أن تقدّم للعالم الشّخصية المثلى, الشخصية التي أضرمت طيلة ثمانية عشر قرناً الحماسة والمحبة فى قلوب الناس وأثّرت فيهم رغم اختلاف أعمارهم وأممهم وأمزجتهم وأحوالهم, وبعثت على ممارسة الفضائل وليس على الإعجاب بها فقط , فأثّرت فيهم تأثيراً عميقاً حتى نقول أنّ تاريخ ثلاث سنين قصيرة من حياة الخدمة كان أفعل في إصلاح البشر وتربية أخلاقهم من جميع مقالات الفلاسفة وعظات الأدابيين"

-"أشكرك, هذا يكفي" فجلس السّيّد أمرسون بجانب الدّكتور مورلي وتحوّل الخطيب نحو الحضور الذين عبروا عن دهشتهم مما سمعوا بتنهّد عميق.

قالت لوسيل: "إنّه لسهمٌ وأصاب كبد الهدف" ولاح على السّيّدة أمرسون دلائل السّرور وعلى جورج علامات التحيّر

-"إنّ هذه الكلمات لتؤكّد لنا أنّ السّيّد المسيّا حقيقة وأنّ سني خدمته الثّلاث كانت أفعل للخير من جميع مصنّفات الآدابيين ومحاضرات الفلاسفة منذ بدء العالم, وهي كلمات كتبها ملحد نادى بإلحاده على رؤوس الأشهاد, وكتبها بعد أن وزن الحقائق كما يزنها المؤرّخ المدقّق المخلص.
ولو وجدنا هذا الحماس في مؤمن لقلنا أنّ هذا هو المنتظر منه, ولكنّي مثلكم يدهشني أن أسمع مدحاً مفرطاً كهذا من ملحد, وليس عليّ أن أعلّل الموقف, إنّما ألفت إليه الأنظار.
ولو انفرد السّيّد ليكي في ثنائه على السّيّد المسيّا لقلنا أنّه شاذٌّ بين المعارضين للكتاب المقدس, ولكن الواقع على النّقيض من ذلك, فهو واحد بين كثيرين. تفضّل يا سيّد أمرسون, خُذ هذا الكتاب أيضاً وأخبر الحضور بما تعرفه عن مصنِّفه"
-"إنّ هذا الكتاب هو مقامات السّيّد إستورات مِل, الاقتصادي الإنكليزي وفيلسوف في الطّبيعة وفي فوائد الدّين والتّوحيد, وكان ملحداً بارزاً, مات قبل السّيّد ليكي ببضع سنين"
-"حسناً, أرجوك أن تقرأ من صفحة 253- 255 الكلمات المعلّم عليها"
-"الآن بيقى السّيّد المسيّا الشّخص منفرداً لا يعادله أحدا بين الذين سبقوه وليس له شبيه بين تابيعه, حتى بين الذين استفادوا من الإصغاء إلى تعاليمه, ولا يجدي نفعاً أن نقول أنّ شخصاً مثل هذا المرسوم في الأناجيل لم يكن, أو أن ندّعي أنّ كثيراً ممّا يثير الإعجاب فيه قد أضيف على القصة, لأنّه مَن من تلاميذه أو من دخلائهم كان له القدرة على استنباط الأقوال المنسوبة إلى السّيّد يهوشوه في الأنجيل أو على تصوّر صفات مثل صفاته؟ أكان صيّادو الجليل قادرين على ذلك؟ أم بولس الرّسول الذي كانت سجاياه الفطريّة تختلف كلّ الاختلاف عمّا نعرفه عن سيّده, وما يصح فى بولس يصحّ أيضاً في جميع الكُتاب الأولين.
زد على هذه العبقرية النادرة مؤهلات أعظم مصلح أدبي عرفه العالم ومزايا الشّهيد لرسالته وتقول أنّ الدّيانة كانت موفّقة باختيارها هذا الرّجل مثلاً أعلى للبشريّة ومرشداً لها, واليوم أيضاً لا يجد حتّى الملحد طريقاً لإخراج الفضيلة من حيّز الفكر إلى حيّز الفعل أنجع من أن يحيا حياة يستحسنها السّيّد المسيّا"
"تلاحظون" قال الخطيب, "إنّ السّيّد مِل الملحد يقول أنّ الملحدين يحسنون إذا عاشوا عيشة يرضاها السّيّد المسيّا, فكأني به يقول ينبغي أن يصيروا مسيحيين, وأنا أوافقه في كذلك"
قاطعه السّيّد أمرسون قائلاً: "ولكنّ السّيّد مِل لم يعتنق المسيحيّة قطّ, فأنا متحيّرٌ من كلامه"
-"تجدونني أنا أيضاً متحيّراً في الأمر, ولكنّ الكلمات هي للسّيّد مِل, ولمّا تشكّى منها أصدقاؤه لم يرد أن يغيّرها وأبى أن يحذفها من طبعات كتابه التّالية, ولا أراني مضطرّاً أن أعلّل تناقضات الملحدين الذين يمدحون السّيّد المسيّا بحماسٍ, ويبقون في إلحادهم, وإنّما أريد أن أثبت لكم أن غلاة الإلحاد بعد أن قضوا سنين يقاومون أهل الإيمان يغتنمون الفرص, ويغالون في مدح السّيّد المسيّا مغالاة أصدق المؤمنين, وأحرّهم, وليس أنّنا قد استعملنا آخر ما في جعبتنا أن استشهدنا بهذين الملحدين المشهورين, كلا, يشهد غيرهما أيضاً شهادتهما لعلوِّ مقام السّيّد المسيّا" وهنا سلّم السّيّد دير كتاباً آخر إلى السّيّد أمرسون قائلاً: "أترجّاك أن تعرّف الحضور بمؤلّف هذا الكتاب أيضاً"
-"عنوان هذا الكتاب هو جرنال الأبحاث. لمؤلّفه تشارلز داروين, العلّامة النّشوئي المشهور"
-"وهل تحسبه مؤمناً؟"
-"كلّا, بالعكس, ضرب بالكتاب المقدّس عرض الحائط, وكان كافراً معروفاً"
-"بين سنة 1831 وسنة 1836 م سافر السّيّد دارون في جولة حول العالم, وفي نهايتها اعترف أنّه لم يعثر على قطر من أقطاره أظلم من نيوزيلاندا, ثمّ بعد أن رجع إلى إنكلترا وجد جماعة ينتقدون أعمال المبشّرين ونشاطهم انتقاداً مرّاً, فكتب عن هذه الهجمات الكلمات التي سيقرأها لنا السّيّد أمرسون من صفحة 404 و425 و505 ,من جرناله (يوميّاته)
"إنّ هؤلاء المنتقدين ينسون أو يتناسون ما قد صار في نيوزيلاندا من إلغاء الذّبائح البشريّة التي كانت تقدّم تحت سيطرة كهنوت وثني لم يرَ العالم مثيلاً له في الشّرّ, ومنع قتل الأطفال وإنهاء حروب دموية, ما كانت تشفق حتّى على طفل ولا على امراة وتقليل الغشّ والسّكر والفحشاء, وذلك بإدخال المسيحيّة فيها, وأن ينسَ المسافر كلّ ذلك فما نسيانه إلّا عدم الاعتراف بالجميل, ولو ارتطمت سفينته على جزيرة غير معروفة لصلّى صلاةً حارّة وتمنّى أن يكون أهلها قد سمعوا تبشير المبشّرين حتّى يطمئنّ على حياته.
إنّ عمل المبشّر هو بمثابة عصا الرّاقي فترى البيوت تُبنى, والحقول تُحرث ,والأشجار تُغرس بأيادي نفس النّيوزيلانديين, إنّ التّحسّن المطّرد النّاتج عن انتشار الإنجيل في جزر البحر الهادىء الجنوبي لمن النّوادر في التّاريخ"
جلس السّيّد أمرسون فقام الخطيب وسأل: "لماذا كتب ملحد يدافع هكذا عن عمل التّبشير وقد سبق فقرّر أنّه يفشل؟" واستطرد قائلاً: "لأنّه رأى بأمّ عينه البرهان السّاطع أنّ نظريّته كانت مخطئة فاعترف عن إخلاص أنّه كان مخطئاً. إنّ نتائج التّبشير التى شاهدها الأستاذ دارون في نيوزيلاندا هي هي في كلّ أمصار الأرض.
لماذا لم يكتب الملحدون كتاباً أحسن من الكتاب المقدّس إذ يزعمون أنّه من صنع بشر, ليس إلّا؟ أجل, يدّعون أنّ الجنس البشري في تقدّم مطّرد, فلماذا لم يثبتوا ادّعاءهم هذا بكتابة كتاب أفيد وأرفع من الكتاب المقدّس القديم؟ لم يقدم أحدهم قطّ على مثل هذا العمل, فلماذا؟
من أيّام كلسوس إلى اليوم لم يجسر ملحد أو جماعة من الملحدين أن يقوموا بتأليف كتابٍ يساوي الكتاب المقدّس في شيء, وليس في العالم كتاب آخر يقول الملحد فيه: "إنّ هذا خير الكتب وأحكمها فيجد فيه البشر كلّهم ما يهذّب العقل ويثقّف النّفس, ويعزّي القلب, فلنترجمه إلى اللّغات كلّها ولنرسله إلى جميع الأمم والشّعوب والألسنة, وبتضحية الحياة ذاتها نبيّن لهم الطّريق الأفضل"
وهذا هو ما يقوله الملحدون في الكتاب المقدّس كما رأينا وسنرى أيضاً فيما يلي.

للملحدين اليوم مطابع عديدة, ومدارس كثيرة كبرى, ويدّعون أنّ أكثر العلماء في جانبهم, فهم إذاً أغنياء, ووقتهم واسع, وفي يديهم وسائل العلم الكثيرة الفعّالة, وقد ازدادت المعرفة, معرفة ما في الأرض وما في السّماء وما في البحر, وعرفنا الصخور وما فيها والنّجوم وحبكها, والمحيطات وما تحتها, وبيدنا المرقب والمجهر والأشعة, وأصبحت الطّاقة الكهربائيّة والطّاقة الذّريّة في خدمتنا, ومن وقت تكميل كتابة الكتاب المقدّس مضى أكثر من ألف وثمانمئة سنة, ومع كلّ ذلك لم يقم ملحد واحد بكتابة كتاب آخر يحلّ محلّ الكتاب المقدّس, ويكون أحسن منه,بل يصرفون سني حياتهم بعد البلوغ في مهاجمة الكتاب المقدّس, وبعد عشرين سنة, قبل نهاية أيّامهم يكتبون بعض الصّفحات فيها يمدحون ويقرظون الكتاب الذي طالما قاوموه, ويخالفون كل ما كتبوه أوّلاً
إنّ هذا ما فعله توماس هكسلي مثلاً, لأنّه كتب مقالات كثيرة يعارض فيها الكتاب المقدّس, ثم إذ واجه الحقيقة ورأى أنّ الحاجة هي إلى كتاب يحلّ محلّه بحث في جميع الكتب القديمة والحديثة أيضاً عساه يعثر على كتاب يشفي غليله, ولم يجد فكتب يحضّ على استعمال الكتاب المقدّس في المدارس لأنّه, كما قال: "كتاب علمي من الدّرجه الأولى"
أتتذكّر يا سيّد أمرسون الكلمة التي استنبطها العلّامة هكسلي؟"
-"نعم, أتذكّر أنّه استنبط الكلمة "أغنوستك" التي معناها "لا إداري", وقصد منها أنّه لا يعلم, لذلك لا يؤمن"

-"أقدّم لك يا سيّد أمرسون نسخة من مجلّد "كوثيميوراري ريفيو" لشهر ديسمبر(كانون الثاني) سنة 1870م التي فيها مقالة من قلم السّيّد هكسلي, أرجو منك أن تقرأ على مسامعنا الكلمات المعلّم عليها"
"كنت أميل دائماً ميلاً شديداً إلى التّهذيب العلماني, أعني أنّي ابتغيت تجنّب التّعاليم اللّاهوتيّة ولكنّي ألتزم أن أعترف بحيرتي الشّديدة لمعرفة ما أعمل في حالة الاستغناء عن الكتاب المقدّس لكي أبني في التّلاميذ تلك الرّوح من التّديّن, التي هي قاعدة السّلوك الأساسيّة, فأجد أنّ الآدابيين الوثنيين خالون من الحياة والطّعم... أمّا الكتاب المقدّس, فانبذ منه ما تشاء وسيبقى رصيد كبير من الجمال الخلقي والعظمة الحقيقية"
"والحقيقة... أنّ الكتاب المقدّس قد دخل في كلّ ما هو حسن ونبيل في حياة الأمّة الإنكليزيّة أثناء القرون الثّلاثة الماضية دخول اللّحمة في السّداة, وزِد على ذلك أنّه مكتوبٌ بأجمل الأساليب وأجمعها لمحاسن الذّوق الأدبي الرّائع, وأخيراً يعلّم الكتاب المقدّس حتّى القرويّ الذي لم يغادر ضيعته قطّ بوجود بلاد غير بلاده وحضارة غير حضارته, ويعلن لنا ماضياً مجيداً يمتدّ إلى أجيال, تتّصل بأقدم الأمم التي تسكن الأرض الآن"

"وههنا كتاب آخر للسّيّد هكسلي عنوانه العلم والثّقافة نقرأ صفحة 398"
أخذ السّيّد أمرسون الكتاب وقرأ كما يلي:
"وأيّ كتابٍ آخر يتأدّب منه الوالد, ويتعلّم أنّه مثل كلّ الذين يسيرون في قافلة التّاريخ لا يملأ إلّا لحظة من الزمن بين أبديتين, ويكسب لنفسه بركات الزمن أو لعناته حسب مجهوداته في عمل الخير وبغض الشّرّ؟"
طبّق السّيّد أمرسون الكتاب وعلى وجهه علامات التّأثّر العميق الذي أحدثته في نفسه القراءة "أجل" قال السيد دير, "إنّ السّيّد هكسلي هذا قضى سنين يجادل السّيّد غلادستون في الكتاب المقدس, وفيما بعد احتجّ على عديمي التّهذيب الذين لا يجدون في الكتاب المقدّس إلّا أسباب هزل وضحك وبذلك أظهروا تكبّرهم وجهالتهم وفي كتاب آخر ألّفه عنوانه "مقامات في مسائل غير مُتّفق عليها" أثبت أنّ آراءه هذه الّتي قرأناها هي اعتقاده الرّاسخ" وسلّم الخطيب الكتاب إلى السّيّد أمرسون الذي قرأ:
"كان الكتاب المقدّس في كلّ الأجيال دستور الفقراء والمتضايقين, وإلى يومنا هذا لا نجد في مملكة من الممالك دستوراً يحافظ على مصالح الفقراء ويبيّن واجبات الحكّام قبل امتيازاتهم مثلما نجد في الكتاب المقدّس... ولا نجد في كتاب آخر إثباتاً وإيضاحاً للحقيقة القائلة أنّ دوام خير المملكة يتوقّف على استقامة رعيّتها كما نجد في هذا الكتاب... إنّي لأعتقد أنّ الجنس البشري لم يزل بحاجة إلى الكتاب المقدّس وقد لا يستغني عنه أبد الدّهور"

قال الخطيب: "فحسب رأي الملحد توماس هكسلي إنّ أنجح وسيلة في تهذيب الأولاد وتأديبهم, وأفعل مساعدة للفقراء والمتضايقين, وأنفع طريقة في تعليم الحكّام والرّعيّة معاً هي الكتاب المقدّس.
لقد وجدنا أنّ غلاة الكافرين, الواحد منهم بعد الآخر, يرجعون في آخر الأمر إلى الكتاب المقدّس معتبرين إيّاه المصدر الوحيد للتّهذيب الأدبي والدّيني والعلمي وفي ختام خطابي هذا أريد أن أقتبس من علّامة شهرته تعادل شهرة داروين وهكسلي, أعني به السّيّد رومانس, كان كافراً معروفاً, وقبيل موته كتب تأمّلاته في الدّين إذ قد امتعض من الكفر, فراجع جميع المؤلّفات في حقل الآداب والدّين طالباً ما يروي غليله, ولخّص اعتقاداته في كتاب طُبع بعد وفاته. من فضلك يا سيّد أمرسون اقرأ من صفحة 170 و171 من كتاب "التأمّلات في الدّين" قلب السّيّد أمرسون في الكتاب لحيظةً ثمّ قرأ:
"ليس أنّ المسيحيّة تقدّمت تقدّماً فاقت به كلّ الأديان فحسب, بل تقدّمت أيضاً كلّ نظام فكري في روحيّاتها وأدبيّاتها, فهي, حقيقة كانت أم كذبة, قد بلغت في حقل الأفكار والتّصرّف والجمال مستوىً عالٍ لا يقرب منه أيّ نظام آخر من الفلسفة أو العلم أو الشّعر, إنّه لأعظم عرض للكمال والجمال ولكلّ ما عرفه التّاريخ ممّا يؤثّر في الرّوحيّات, ماذا عمل كلّ العلوم, وكلّ الفلسفات في رفع مستوى أفكار البشريّة بالنّسبة لما عمل التّعليم أنّ يهوه محبّة ؟"

وقف السّيّد أمرسون منذهلاً يتطلّع إلى الكلمات التي, قد انتهى من قراءتها, ثمّ ناداه أحدهم قائلاً: "أعد قراءته" وآخرون شدّدوا بنفس الطّلب, فقرأه ببطء وتفكير واحترام, ثمّ جلس. وساد الحضور سكونٌ تامّ, وأخيراً تكلّم الخطيب قائلاً:

"لو أنّ مثل هذا المدح الحار قد كتب بيد واعظ شهير لما كنّا نستغرب حماسته, ولكنّي أعترف لكم أنّي أشارككم دهشتكم الشّديدة, إنّ مشاهير الملحدين يكتبون هذه التّقاريظ, وبما أنّ قادة الكفر قد عبّروا هكذا عن إعجابهم بالكتاب المقدّس, وبالمسيحية ومؤسّسها السّيّد المسيّا فلماذا تتمسّكون أنتم بإلحادكم؟ ألا يجدر بنا أن ندرس الكتاب المقدّس درساً دقيقاً عندما نرى غلاة الكافرين يقولون فيه أنّه أعظم قوّة للخير على وجهه الأرض؟..."

هنا انتصب السّيّد أمرسون وقال: "الحقيقة أنّي قد قراءت هذه الاقتباسات الآن وبي شعور ممتزج وأسلّم بأنّي لم أتصوّر أنّ أولئك قد كتبوا, ولكنّهم أموات منذ خمسين إلى سبعين سنة وقد اكتشفت أشياء كثيرة في هذه المدّة لها تأثيرها في أفكارالمفكّرين وأريد أن أعرف موقف كفّار اليوم من هذا الموضوع"

صفّق الجميع لهذا الكلام دليلاً على أنّهم هم أيضاً يريدون أن يسمعوا من غلاة الكفر الأحياء اليوم.

"حسناً" قال الخطيب,"في الاجتماع التّالي إن شاء يهوه ندرس أقوال قادة الكفر الأحياء فإلى اللّقاء"

الفصل التاسع
شهادة غلاة الملحدين الأحياء

وصلت أسرة أمرسون إلى مكان الاجتماع قبل الميعاد المضروب, ولمّا لاحظ جورج أنّ القاعة قد امتلأت قال للوسيل: "إنّ الاهتمام بهذه المحاضرات في ازديادٍ مطّرد, وأرى أنّ الوالد متحيّر جدّاً"
أظهرت لوسيل موافقتها وقالت: "وأنا أيضاً لو كنت في مركزه كنت أكون متحيّرة, وأكبر ظنّي أنّه البطل في الدّفاع عن قضيّة ضعفت حجّتها ووهنت, وها نحن أكثر من ثمانِ مئة من البالغين في هذا الاجتماع نصفهم على الأقلّ من الكفّار, وكلّهم عاجزون عن تفنيد برهان رجل واحد, فإنّ السّيّد دير قد أحرج مركزنا جميعاً"
قالت السّيّدة أمرسون: "إنّ هذا هو الواقع"
نظر إليها السّيّد أمرسون باستغراب وقال: "أتحسبين أنّ قضيّة الإلحاد قد خسرت؟"
فردّت: "أما هذا هو حسابك أنت؟" وتردّد السّيّد أمرسون في الإجابة
قالت لوسيل: "لا تخف يا أبي, قل الحقّ"
قال السّيّد أمرسون: "أكلّكم اتّفقتم عليّ" ثمّ ابتسم وقال: "أجاوبكم في وقتٍ آخر, أمّا الآن فترون أنّ السّيّد دير يشير إليّ أن أصعد على المنبر معه"

بعد أن حيّا الخطيب الحضور بكلمات قليلة شرع في موضوعه فقال: "كان في نيّتي أن أستشهد بأقوال الملحدين أصحاب الشّهرة مثل كارلايل وبلاتشفورد في إنكلترا وغوتي وستراوس من ألمانيا, وروسو ورنان من فرنسا, وباين وأنكرسول من أميركا, لأنّهم جميعاً كتبوا كلمات حارّة في مدح السّيّد المسيّا وقد اشتهروا في كلّ العالم بإلحادهم ولكنّكم فضّلتم أن أورد لكم كلمات الملحدين الأقرب إلى زماننا أو مازالوا في قيد الحياة, فأستشهد أوّلاً بذلك المتطرّف المعروف هـ. ج. ويلز الذي مات مؤخّراً . من فضلك يا سيّد أمرسون اقرأ لنا هذه الكلمات من يراعه المقتبسة من "أميركان ماجازين" يوليو (تموز) سنة 1922 م"
"بكلّ سرور" قال السّيّد أمرسون وتناول المجلّة المذكورة وقرأ: "إنّ يهوشوه النّاصري...وهو ولا شكّ أبرز الشّخصيّات في التّاريخ, أكتب عنه بوصفه إنساناً, لأنّ المؤرّخ يضطر أن يكتب عنه في حيثيّة بشريّته فقط, كما أنّ الرّسام لا يرسمه إلّا إنساناً ...
وإذا فرضنا أنّ السّيّد المسيّا شخصيّة خياليّة و ليس لها وجود, وأن قصص حياته في الإنجيل تلفيقات, فهذا الافتراض يخلق لنا معضلات يصعب على المؤرّخ حلّها فالأفضل قبول هذه الحقائق كما أثبتها الإنجيل.
"أجل, نقطن بلاداً يؤمن الملايين من سكّانها أنّ السّيّد يهوشوه أكثر من مجرّد إنسان أمّا المؤرّخ فيضطر أن يضرب عن هذه الحقيقة صفحاً, ويستمسك بالحقائق المقبولة ولا نزاع فيها فتقبل في أقطار العالم حيث قد تقرأ أقواله"

هنا قاطعه الخطيب قائلاً: "تلاحظون الحدود التي يختار الأستاذ ويلز أن يعمل فيها بوصفه مؤرّخاً, وأنّه لا يقبل حجّة إلّا وكانت دامغة ومقبولة في كلّ أمّة على وجه هذه البسيطة ومع ذلك فاستنتاجاته تسترعي الالتفات, من فضلك يا سيّد أمرسون أكمل القراءة"
استأنف السّيّد أمرسون القراءة: "فمن المُلذ, وهو ذو مغزى خطير أيضاً - أليس كذلك؟ - أنّ المؤرّخ إذ يشرع في عمله وهذا الفكر يملكه, ويرى نفسه خالياً من كلّ ميل لاهوتي, يجد مع ذلك أنّه ليس في وسعه أن يرسم تقدّم البشر رسماً طبق الواقع إلّا ويعطي المقام الأوّل فيه لذلك المعلّم النّاصري الفقير. قد ضرب المؤرّخون الرّومانيون القدماء صفحاً عن يهوشوه وأهملوا كلّ إشارة إلى نموّ تعاليمه وانتشارها كأنّها بعيدة عن أمور الحياة, حتّى نقول أنّه لم يترك في سجلّات وقته أثراً, ومع ذلك, وبعد مرور تسعة عشر قرناً, يجد المؤرّخ مثلي وأنا لا أدّعي الإيمان أنّ الأمور جميعها ترتكز في حياة هذا الرّجل البسيط المحبوب وفي صفاته...
نشعر بشيء من الجاذبية الخلّابة التي جرّت النّاس إلى ترك أشغالهم ليتبعوه وهم لم يروه قبلاً إلّا مرّة واحدة فقط, لأنّه قد بثّ في قلوبهم المحبّة والشّجاعة, وبحضرته تقوّى الضعفاء والمرضى وتكلّم بحكمة ومعرفة تحيّر لهما الحكماء الحاذقون...
فالمؤرّخ إذا وهو يضرب صفحاً عن معنى حياته في علم اللّاهوت يكتب اسم يهوشوه النّاصري في رأس قائمة الشّخصيّات البارزة في تاريخ العالم"

انتهى السّيّد أمرسون فقال السّيّد دير: "ما أعظم الفرق بين هذه الكلمات وتلك التي نتوقّعها من ملحد جاهر بإلحاده, ولكنّهم يحترمون السّيّد المسيّا كرهاً مدفوعين إلى ذلك بنصاعة الحقّ, ولو صحّ نصف ما يقولون لاتّضح لكم أن ليس في العالم تأثير آخر يستحقّ الذّكر بالقياس إلى ما لتأثيره الصّالح من قوّة.
في استطاعتي أن أقدّم لكم اقتباسات من مؤلفات الكفّار وأثبت شهاداتهم للمسيحيّة أنّها قد أعتقت العبيد ومنعت قتل الأطفال, وأسّست مستشفيات, ورفعت شأن المرأة وغيّرت طباع الملايين وحرّرتهم, ونستنتج هذا كلّه من شهادة هـ .ج. ويلز أيضاً, والآن يا سيّد أمرسون مَن, في نظرك, قد حلّ محلّ السّيّد أنكرسول, كبير الملحدين في أميركا؟"
أطرق السّيّد أمرسون قليلاً متأمّلاً هذا السّؤال ثمّ قال: "أكبر ظنّي أنّ السّيّد هـ.ل.مانكن, محرّر مجلّة "أميركان ميركوري" ومؤلّف طائفة من الكتب العصريّة الفلسفية في الاعتماد على العقل وحده, يملأ مكان أنكسول, بل قد أوجد لنفسه مركزاً خاصّاً بين الملحدين العصريين, فهو أعلى من أنكرسول ثقافةً, وأشدّ من فولتير استهزاء, وعصري أكثر من برنارد شو"

-"عندي هنا كتاب من مؤلّفات مانكن, قد صدر في سنة 1930م عنوانه "المقالة في الآلهة", وقد علّمت على بعض من فقراته, فأرجوك أن تقرأ لنا منها يا سيّد أمرسون"
تناول السّيّد أمرسون الكتاب, وفتحه لصفحة 227 وأخذ يقرأ كما يلي: "إنّ حقيقة تاريخ السّيّد يهوشوه لا يَشُكّ فيها بعد أحد لا المؤمن, ولا الكافر لأنّها حقيقة تثبّتت ولا تقبل الجدل"
قال الخطيب: "أرجوك أن تقرأ لنا أيضاً من صفحة 255"
-"وليس من السّهل أن نعرف أسباب نجاحه النّادر الهائل. لأنّه كيف يتأتّى لإنسان لم يشرب في حياته إلّا كأس الذّلّ والهوان أن يرفع نفسه بموته إلى هذا المقام الرّفيع في نظر العالم أجمع ويهزّ العالم كلّه بقوّته؟"
قاطعه السّيّد دير فقال: "تلاحظون أنّ السّيّد مانكن يعترف بقوّة السّيّد يهوشوه على هزّ العالم كلّه, وأنّه لا يستطيع أن يعلّل وجود هذه القوّة عنده, وقال أكثر من ذلك, اقرأ من فضلك صفحة 266 و227"
-"وإن لم نرفض شهادة العهد الجديد كلّه ونعتبره هذياناً وهزلاً نقبل أنّه من المؤكّد أنّ كثيرين رأوا السّيّد يهوشوه حيّاً بعد موته على الصّليب, تلك حقيقة اعترف بها أيضاً أولئك الذين يقاومون إمكانيّة القيامة... وعلى هذه النّظريّة شيّد أكثر النّاس تمدناً نظاماً من النّظريات والأعمال لا يوازيه في سعته وقوّة نفوذه أيّ نظام آخر من أوّل التّاريخ إلى اليوم"
-"حسناً, اقرأ من فضلك من صفحة 345 و 346 و347"
-"ولاشكّ في أنّ الكتاب المقدّس أجمل كتاب في العالم كلّه"

"مهلاً" قال السّيّد دير, "وأنت تصغي إلى كلام الكفّار الجهّال تتصوّر أنّ الكتاب المقدّس أردأ الكتب, أمّا شهادة قائد الإلحاد هذا فهي أنّه أجمل الكتب قاطبة, إنّه لاعترفٌ يجب أن يعرفه كلّ ملحد معرفة جيّدة, ولكن تابع من فضلك القراءة"
-"سلّم بما شئت... ليس لنا في كتاب آخر, قديماً كان أم حديثاً, ما يعادله في آدابه, ومن أغرب ما جاء في تاريخ البشر أنّ أكثر هذا الكتاب المقدس من تصنيف اليهود, لأنّ صفات اليهود المألوفة المعروفة لا توافق كثيراً سموّ التّفكير... ويمكن أن يقال فيهم بشيء من الصّدق أنّ دمهم أثقل من دم أيّ شعب آخر, إذ ينقصهم كثير من ميّزات التّمدن مثل الشّجاعة والنّزاهة والثّقة, وعندهم عجب بدون عظمة... ومعرفة بدون حكمة" إنّ هذا هو رأي مانكن فيهم.
"ومع ذلك فكان بينهم منذ قديم أيّامهم أكبر الرّجال الخياليين, وأعظم الشّعراء ونظموا تلك الأشعار التي نعرفها باسم المزامير, ونشيد الأنشاد, وسفر أيّوب ورواية راعوث, ورتّبوا الأمثال في نغمات خالدة, ونطقوا بالتّطويبات, والموعظة على الجبل, وقصّوا قصّة ولادة يهوشوه المسيّا في نشيد لا نظير له في جماله وبساطته وكتبوا الفصل الثاني عشر من الرّسالة إلى أهل رومية.
هذا, وإنّي أعتقد أنّ القصّة التي رواها يوحنا في إنجيله (8 :3- 11) أعظم رواية عاطفية (دراما) كتبت كما أنّ نشيد الأنشاد آثر أناشيد الحبّ ومزمور 23 أعظم ترنيمة نُظمت.
وكلّ هذه التّحف الثّمينة ورثتها المسيحيّة عن قبيلة مجهولة لا يعرفها التّاريخ لعدم أهميتّها, وليس من إرث آخر يعادلها في غناها وفي تأثيرها الحسن في التّفكير البشري, بل لا تُذكر تركة اليونان القدماء بالنّسبة.
إنّ قصّة حياة يهوشوه... لمؤثّرة فوق التّصوّر, إنّها بالحقّ أجمل قصّة اخترعها مؤلّف لا تماثلها قصّة أخرى في جميع الكتب الدّينيّة."

طوى السّيّد أمرسون الكتاب وسلّمه للسّيّد دير وجلس.
قدم السّيّد دير وقال:
"لديّ من هذين الملحدين العصريين, ويلز ومانكن, كثير كنت أودّ أن أقتبسه من مؤلّفاتهما, ولكنّ هذه الاقتباسات التي أوردتها تكفي دليلاً على أنّهما اعترفا بحقيقة السّيّد يهوشوه المسيّا تاريخيّاً, وبصحّة الإنجيل وبأنّ السّيّد يهوشوه أعظم قوّة فعّالة عرفها العالم"
فاعترض السّيّد أمريسون: "لماذا لم يَصر هؤلاء الملحدون, وهم يعترفون هذا الاعتراف, مؤمنين؟ لأنّهم إذا عنوا ما قد قرأت لكم من أقلامهم, فلماذا لم يتركوا إلحادهم ليصيروا مؤمنين؟"
تبع هذا السّؤال حفيف استحسانٍ من الحضور فتحوّل داود دير إلى السّيّد أمرسون مبتسماً ثمّ قال للحضور: "إنّه لسؤالٌ مناسب ومنطقي, وليس لي أن أعلّل بقاء ويلز ومانكن وليكي ومل على إلحادهم بعد اعترافاتهم هذه, وانّما قد ترك الكثيرون إلحادهم, وصاروا مؤمنين متحمّسين, وفي الأسبوع الآتي إن شاء يهوه نتكلّم عن البعض منهم"

الفصل العاشر
ملحدون يصبحون مؤمنين

تربّع أفراد أسرة أمرسون في مقاعدهم, وحيّوا البعض من أصدقائهم, ولم يكن ميعاد الابتداء قد حان فأخذوا يتحدّثون عن المحاضرات.
قالت لوسيل: "تعجبني جدّاً الأساليب التي يتبعها الخطيب في القيام بمهمّته لأنّه لا يكتفي بالقول أنّ النّبوّات ثابتة لا تنكر, ولكنّه يبرزها ويتحدّى الملحدين أن يفنّدوها اذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً, وإلى الآن لا يفنّدوا شيئاً منها"
"نعم" قال جورج موافقاً,"ولا يكتفي بالقول أنّ الملحدين يعترفون بأنّ السّيّد المسيّا أعظم شخصيّة عرفها العالم, ولكنّه يأخذ الوالد على المنبر ويعطيه كتب الملحدين لكي يقرأ منها هو شهادة الكفّار,إنّه ليعجبني أنا أيضاً, وياترى من هم الملحدون المؤمنين الذين يتكلّم عنهم هذه اللّيلة؟"
قالت السّيّدة أمرسون: "بكلّ تأكيد لا يكونون من عامة الملحدين"
وقال السّيّد أمرسون مبتسماً: "أنا معكم فيما تبدون من الآراء, فإنّ السّيّد دير قد أدار هذه المباحثات بشيء من المهارة وبأساليب مستحسنة, فلم يزدر بأحد ولم يمنع أحدا عن التّكلّم, بل أعطى لكلٍّ فرصته, وجاوب الأسئلة مجاوبة صريحة مقنعة ,ولكن صه ,ها هو يصعد على المنبر"

اعتلى السّيّد دير المنبر وحيّا من الحضور الذين تعرّف بهم أثناء المحاضرات بمن فيهم أسرة أمرسون, ثم قال: "جلس ملحدان في عربة قطار مرّةً يتحدّثان عن حياة السّيّد المسيّا فقال أحدهما للآخر أظنّ أنّه في الإمكان كتابة رواية لذيذة تدور حول حياة السّيّد المسيّا.
فقال له زميله الحقّ معك وبلا شكّ أنت هو المؤلّف, فاكتب أنت ترجمة حياته الصّحيحة واذكر صفاته كما هي, واهدم الاعتقاد السّائد بألوهيّته وارسمه إنساناً من النّاس كما كان بالحقّ.
وجرى العمل بهذا الاقتراح, وبعد مرور عدّة سنوات طُبعت الرواية, وكان المقترح هو القائم مقام أنكرسول, الملحد الذّائع الصّيت وكان المؤلّف الفريق لو ولاس, واسم الكتاب الذي ألّفه "بن حور"
أخذ الفريق ولاس يدرس المصادر, والأناجيل استعدادًا لكتابة الرواية فوجد نفسه يجابه ذلك الانسان الفريد السّيّد يهوشوه المسيّا, وإذا تمادى في دراسة حياة يهوشوه وتعمق في صفاته اقتنع اقتناعاً بأنّه أكثر من مجرّد إنسان
وأدهشه للغاية أن يجد أنّ هذا الشّابّ النّجّار الذي تربّى في قرية من الجليل, قرية ساءت سمعتها, ولم يتعلّم شيئاً من العلوم لا العبريّة, ولا اليونانيّة, ولم يخرج قطّ من بلاده وأوّل عظة ألقاها على الجمهور هي الموعظة على الجبل التي لم يسمع العالم مثلها لا من قبل ولا من بعد وهي أساسيّة ومثيرة للغاية وفريدة في بابها.

فتعجّب الفريق لولا س تعجّباً عظيماً كما تعجّب غيره من الدّارسين لجمال كلمات السّيّد المسيّا, وهي كلمات لا يكّدر الزّمان لمعانها ولم ينقص من حلاوة تأثيرها, ولم يقلّل من قوّتها المجدِّدة, ولم يبطل التّعّود عليها نضارتها أو رائحتها الذّكية, بل تضيء اليوم ضياءها بالأمس وهي أحلى ما سمعته أذن بل أحكمها أيضاً.
فوجد لوولاس أنّ السّيّد المسيّا هو المثال الأعلى الذي يسعى الآدابيون في خلقه, والشخصيّة التي ينشدها الفلاسفة, والعقدة التي يتمنّى النّقاد حلّها, وأساس اعتقاد اللّاهوتين, وحاجات أصحاب التّديّن الجوهريّة, وصديق الإنسان الأواحد.
بل وجد الفريق أنّ السّيّد المسيّا نقطة ارتكاز التّاريخ, وملتقى جميع طرقه, أشار إليه مما سبق ويمتدّ منه ما تبع,وأخيراً أذعن لو ولاس للبرهان وسلّم الملحد, صديق أنكرسول الكافر, وصرخ صرخة ذلك القائد عند الصّليب القائلة: "حقّاً كان هذا الإنسان ابن يهوه" حتّى أنّه في كتابه "بن حور" الذي كان قد شرع في تأليفه لكي يثبت أن السّيّد المسيّا مجرّد إنسان, اعترف بإيمانه به أنّه ابن يهوه.

ومنذ نحو من عشرين سنة صعق أوروبّا ظهور كتاب عن السّيّد المسيّا سبق لمؤلّفه وجاهر بإلحاده وتباهى بأنّه أهان اسم المسيّا أكثر من الذين سبقوه وقد ألّف كتباً أطلق فيها العنان لأهوائه وسلك مسلك الإنكار والتّناقض إلى أن صار كافراً كاملاً.
وأثبت في كتابه أنّه لم يرجع إلى الإيمان بالمسيّا لأنّه تعب من الحياة إذ إنّ تمسّكه بالإيمان زاد حياته عبئاً ومسؤوليّة, ولم يعد إلى الإيمان لكِبَر سنّه فهو لم يزل شابّاً (في الأربعين من سنّه), ولا طمعاً في الشّهرة لأنّ الكافر في العالم أشهر من المؤمن, ويصعب على الإنسان أن يعترف بأنّه كان مخطئاً بعد أن ألّف الكتب الكثيرة وكلّها هجوم على سيّده.
إنّما هذا هو عين ما فعله (جوفاني بابيني) في كتابه "ترجمة حياة المسيّا" الذي قام له العالم وقعد وقد قرأته أنا بلذّة وانتعاش, وقد تُرجم للغات العالم الرّئيسيّة"

هنا وقف السّيّد أمرسون وأذن له الخطيب بالكلام, فقال:

"لم أقاطعك للآن لأنّي أردت أن أسمع قصص الملحدين يصيرون مؤمنين بكاملها, ولكنّ هؤلاء الذين ذكرتهم لم يغادروا بلادهم لأجل التّحريّ والبحث بل اكتفوا بقراءة الكتاب المقدّس وبعض كتب التّواريخ, ثمّ غيّروا موقفهم, فمع أنّ قصصك تدلّ على أنّ البعض صاروا مؤمنين, الأمر الذي كان معروفاً عندنا, لا تكفي لاقتناعنا بوجوب التّغيّر.

-"إذن, سلّمت يا سيّد أمرسون, بأنّ لو ولاس والسّيّد بابيني وغيرهم قد غيّروا موقفهم من الدّيانة بعد قراءتهم للكتاب المقدّس, وبعض كتب التّاريخ, وقليلون هم الذين يحذون حذوهم ويدرسون حجج الإيمان لأنّ واحداً من ألف منهم, لا يكلّف نفسه مطالعة حجّة الطّرف الآخر, والآن أخبركم عن ملحد أقام العالم وأقعده بإعلانه عزمه على إقامة الدّليل القاطع على عدم صحّة الكتاب المقدّس.

ففي سنة 1881م كان السّيّد وليم رمزي شابّاً معروفاً باستقامته وكان مهذّباً تهذيباً عالياً لا تشوب أخلاقه شائبة, وأراد بإخلاص لايُنكر أن يعرف الحقّ, وقد تربّى في بيئة من الشّكوك والإلحاد ممّا جعله يعتبر الكتاب المقدّس كتاباً كاذباً مزيّفاً
فقضى السّيّد وليم هذا سنين يتأهّب للقيام بهذه المهمّة ألا وهي أن يقود بعثة علميّة إلى آسيا الصّغرى وفلسطين, لأنّهما منبعا تاريخ الكتاب المقدّس, للبحث والتّنقيب هناك عساه أن يقيم الدّلائل من الآثار على أنّ الكتاب المقدّس مجرّد تأليف جماعة من الرّهبان الطّموحين, ولم ينزل من يهوه كما يزعمون, واعتبر السّيّد وليم قصص الرّسول بولس مركز الضّعف في تاريخ العهد الجديد, وهي قابلة للنّفي والإثبات, فأعلن أنّه سيتّخذ سفر أعمال الرّسل دليلاً له ويقتفي إثر الرّسول ويثبت تلفيق القصص, إذ لم يكن في الإمكان أنّ الرّسول قد قام حقيقةً بمثل هذه الأسفار, والسّيّد وليم هو أوّل من قام بمثل هذا البحث.
فرح أعداء الكتاب المقدّس فرحاً عظيماً وانتظروا بثقة وفارغ صبر أن تكذّب هذه البعثة الكتاب المقدّس تكذيباً تامّاً وتفنّد ادّعاءاته تفنيداً عامّاً , وأسلّم أنّ بعضاً من المؤمنين ارتاعوا خوفاً من نتائج هذه البعثة, لأنّه في أيّام يوليان, في القرن الرّابع الميلادي, الذي وقف نفسه وموارد مملكته الغنيّة, على تكذيب النّبوّات وفشلها, كما يشهد بذلك المؤرّخ الملحد غبون لم يقم أحد بمثل هذه الجسارة لتكذيب الكتاب المقدّس.

وانفردت بعثة السّيّد وليم رمزي هذه بالثّقة التي بعثتها في الطّرفين استقامة السّيّد وليم, فإنّه لم يكن من المجدّفين الصّاخبين, هذا ولم يكتفِ بأن يجلس في كرسيٍّ مريحٍ في لندن أو برلين أو باريس ومنه يرسل سهامه المسنونة المصوّبة إلى هدم الدّين بل تشجّع في إلحاده وتوجّه إلى فلسطين وكانت قواه العقليّة والبدنيّة تؤهّله لقيادة البعثة, فوثق الجميع بالسّيّد وليم وإذ إنّه وعد بأنّه يطبع كتاباً ينشر في على الملأ ما وجد بالحرف الواحد فالجميع صدّقوا كلماته.
أجل, تزوّد السّيّد وليم بما لم يتيّسر لأحد قبله فقصد مواطن الكتاب المقدّس حيث قضى خمسة عشر عاماً منقبّاً عن الدّلائل, وفي سنة 1896م أخرج كتاباً ضخماً عنوانه "القدّيس بولس السّائح الرّوماني" حوى نتائج بحثه.

"أحدث هذا الكتاب ضجّة بين الملحدين في العالم أجمع وأهاج غضبهم وضيّع آمالهم, لأنّه جاء مخالفاً لما كانوا ينتظرون ومناقضاً لما قد أعلن المؤلّف عن قصده, فكانت حيرة أعداء الكتاب المقدّس وفشلهم كاملين, ولمدّة عشرين سنة بعد صدوره ما فتئت حيرتهم وفشلهم يزدادان لأنّ المؤلّف ألّف كتاب تِلوَ الكتاب مقدّماً فيها البراهين المقنعة التي اكتشفها في الحفر والتّنقيب, وتثبت كلّها بدقّة شديدة صحّة العهد الجديد, وكانت الأدلّة من القوّة بحيث أنّ كثيرين تركوا إلحادهم, واعتنقوا الإيمان, ولهذا اليوم لم يقم أحد بدحض شيء ممّا أثبته السّيّد وليم رمزي في كتبه هذه.
ومع أنّ الاقتباس لايكفي لإظهار ماقد وصل إليه في أربعين سنة من البحث والكتابة, أريد أن أورد لكم بعضاً من كلماته, فقد كتب على صفحة 238 من كتابه "القدّيس بولس" يقول عن القصص التي جاءت عنه في سفر أعمال الرّسل أنّ فيها
"يُساق الحديث بدون ارتباك رغم كثرة التّفاصيل وتغيّر الأحوال من مدينة إلى أخرى" ثمّ في صفحة 240 يقول: "لكلّ حقيقة تافهة في أعمال الرّسل موقعها ومعناها الخاص"
"وفي صفحة 21 و 22 قال: "إنّ وصف شخصيّة الرّسول بولس في سفر الأعمال قد جاء, بتفاصيله وخاصيّاته, دليلاً على أنّ المؤلّف كان يعرفه شخصيّاً, والشخصيّة التي تبرز لنا في سفر الأعمال هي عين التي نراها في رسائل الرّسول وفي أساليبه وأفكاره ولطفه وأدبه وشرف أخلاقه, ومهارته الغريبة في مجابهة الأحوال التي جعلته مرتاحاً في كلّ محيط, فإذا كان يكلّم الفلاسفة في أريوس باغوس, أو يتحدّث إلى الملوك والولاة, أو يشجّع النوتية في المركب, تراه قبلة أنظار الجميع"

"ثمّ في كتابه الأخير الصّادر في 1914 م وعنوانه "علاقة الاكتشافات الحديثة بالثّقة بالعهد الجديد" صرّح في المقدّمة صفحة 5 قائلاً: "إنّ غايتي... هي أن أبيّن بفحص العهد الجديد كلمة كلمة وجملة جملة من الآيات التي اعترض عليها النّاقدون, أنّه منفرد بين الكتب بقصره مع إيضاحه وشموله وحقيقته الحيّة, وليس الأمر أنّ سفراً واحداً من أسفاره يتميّز بهذه الصّفات بل تخصّ هذه الميّزات جميع أسفاره"
"ويعود الفضل في التّقدّم الذي أحرزته إلى كوني أدركت منذ البداية أنّ البشير لوقا خير مرشدٍ لي, وفي ما تبعت لوقا فيه... وجدته مدقّقاً حتّى في أتفه التّفصيل" صفحة 259 و 262.
وهكذا نجد أنّ السّيّد وليم رمزي الذي شرع في بحثه بغية نفي الإيمان بالكتاب المقدّس, قد أثبت بدون أقلّ شكٍّ أو جدال, أن كتب العهد الجديد تستحقّ الثّقة الكاملة حتّى في أبسط تفاصيلها.

وكنت أودّ أن أكلّمكم عن العلّامة الألماني أدولف دايسمان واكتشافاته التي تضاهي اكتشافات السّيّد وليم رمزي في أهميّتها, والتي شابهت ميوله ميوله, وبعد بحثٍ دام سنين عدّة وصل إلى نفس النّتيجة التي وصل إليها رمزي فأثبت صحّة الكتاب المقدّس الذي قصد أوّلاً هدمه. وكتابه "نور في الماضي القديم" قد أثّر في هذا القرن تأثير كتاب السّيّد وليم رمزي في القرن السّابق, فقد أقاما حصناً حصيناً من البراهين في إثبات صحّة الكتاب المقدّس بعد البحث المستفيض بقصد هدمه, وإلى أن يقوم من يفنّد إثباتات هذين الرّجلين, ليس للملحدين أساس في إلحادهم.

قد لمست هذا الموضوع بطرف الإصبع فقط, ولكنّه الوقت للانصراف فأوصيكم بأن تقرأوا كتب هذين المؤلّفين فتختبروا الفرح الذي يأتيكم منها إذا كنتم تتّبعون بحثهما واكتشافاتهما في الأراضي المقدّسة, وسنتأمّل في الأسبوع القادم, إن شاء يهوه, الفوائد التي يقدّمها لنا الملحدون.

الفصل الحادي عشر
مكافأة الكفر وما يعدنا به الكفار

كانت الحيرة تبدو على محيّا السّيّد أمرسون حين اجتمعوا في القاعة في الأسبوع التّالي, وقالت له لوسيل وهي تمسح جبهته بيدها:
"لماذا يا أبتاه هذه التّجاعيد العميقة إنّها لتفسد جمالك؟"
"إنّني بالحقّ متحيّرٌ" قال السّيّد أمرسون
-"لماذا يا أبتاه"
-"أجد نفسي كأنّي سفينة في البحر بدون دفّة, لأنّي كنت واثقاً بأنّ اعتراضاتي وجيهة لا تُنقض, ولكنّ السّيّد دير قد جرفها كلّها وقدّم براهين دامغة في إثبات صحّة الدّيانة"
سأل جورج: "ألم يساعدك أحدٌ من أصدقائك الملحدين؟"
-"الحقيقة أنّني قد عرضت عليهم حجج السّيّد دير, ولم يستطع أحد منهم أن يدحضها, والآن أرى أنّ السّيّد دير ينوي الهجوم علينا, وأنا أعلم أنّ دفاعنا ضعيف إذ إن قوّتنا هي في الهجوم على غيرنا"
"لماذا لا نهجم إذن؟" سألت لوسيل وعيناها تلمعان اشتياقاً لمشاهدة المعركة
-"لأنّني قد سبق أن أحضرت أحسن ما عندي من الحجج وقد فنّدها الخطيب جميعها"
-"وكيف ذلك يا أبي"
-"لست أعلم بعد"
فقالت السّيّدة أمرسون وهي تبتسم "أنا أعلم" فتحوّلوا إليها طالبين التّفسير, ولكنّهم لم يتمكّنوا من تقديم السّؤال لأنّ الخطيب أخذ يعتلي المنبر, ثم قال:

"إنّني أعرض عليكم موضوع هذه اللّيلة كرهاً وتردّداً, لأنّني لا أستصوب مذمّة معتقدات غيري وأفضّل درس كلّ موضوع من الوجهة الإيجابيّة غير أنّي لا أرى مناصاً من البحث فيما يعدنا به الكافر إذا قبلنا كفره, لأنّ الكافر وهو يبغي استبدال الإيمان بالكفر لابدّ أنّ له ما هو أفضل ومكافأة أثمن, فيجب أن نفحص ما يقدّمه لنا عوضاً عمّا يسلبناه إيّاه"
هنا قام السّيّد أمرسون وقال موجّهاً كلامه إلى الحضور: "إنّنا جميعاً لنقدّر لطف الخطيب ونريد أن نؤكّد له أن لا حرج عليه في التّكلّم بما يريد"
استحسن الجميع كلمات السّيّد أمرسون بتصفيق عالٍ
"أشكركم" قال الخطيب. "أشكر لكم لطفكم. تعلّمون كلّكم أنّه كان لروبرت أنكرسول, الملحد الشّهير, أخٌ عزيز, وعندما مات أخوه وقف السّيّد أنكرسول عند قبره يؤبّنه تأبيناً بليغاً اعتبر بين ملحدي العالم أنّه عنوان العبقرية, قال فيه:
"إذا مخرت سفينتنا عباب البحر أو سارت وسط الأمواج المتنفّسة على صخور السّاحل المقابل, فلابدّ من الحطام أخيراً, لأنّ الحياة وإن تزيّنت بالمحبّة في كلّ ساعة منها وتزخرفت بجواهر ثمينة في كلّ دقيقة منها فإنّما نهايتها الحزن العميق والغمّ السّحيق والظّلام الدّامس المعتم عتم نسيج لحمته اللّغز وسداه الموت... فالحياة تشبه وادياً ضيّقاً يمتدّ بين قمّتين عاليتين قرعاوين هما الأزل والأبد, وعبثاً نحاول أن نعرف ما وراء القمّة, فلا يجيب عويلنا إلا صداه المفتت الأكباد"

إنّني مدّة حياتي لم أسمع ولم أقرأ كلمات ملؤها اليأس والقنوط مثل هذه الكلمات, فالحياة للملحد أنكرسول بعد أن سبر غورها وتسوّر علّوها لم تكن إلا مأساة محزنة لا ثمر لها ورجاؤها هزء وسخرية, فلا يواجه في ختامها إلّا قتام الظّلام إلى الأبد أجل. لا يدّعي الإلحاد أنّه حق, ولا يمكن أن يُعتبر حقّاً.
والملحدون يسلّمون بأمر سلبي فقط, غايته إطفاء نور الدّين دون أن يُقدّم لنا نوراً آخر يحلّ محلّه
ولكن دعنا من السّيّد أنكرسول, ولنتكلّم عن ملحد آخر مشهو هو السّيّد هربرت سبنسر الذي بعد أن ألّف عشرات الكتب فيها هاجم الدّيانة تارةً, وأغفلها تماماً تارةً أخرى, جلس يكتب في مجلّدين ضخمين ترجمة حياته, ولمّا قرب من نهاية المجلّد الثّاني أخذ يتكلّم عن الموت وعبّر عن نهايته المنتظرة بجزع, ثمّ رثى الحقيقة أنّه في القبر لا يعلم أنّه ميّت ولا يشعر أنّه كان حيّاً يوماً ما.

"والحقيقة أنّ السّيّد سبنسر تاق إلى راحة النّفس حتّى أنّه, بعد الكلام عن الموت مباشرة, قال أنّه يعطف على المعتقدات الدينية لكونها تشغل المكان الذي حاول عبثاً مذهب الاعتماد على العقل وحده أن يشغله, وكلّما حاول أن يشغل مركزه ازداد فشله ولكنّه عطف على الدّيانة لأنّ الحاجة إليها مشتركة , ولأنّ عدم قبلوها أصلاً يعود إلى عدم الرّضا بحلولها للمعضلات مع الرّغبة في إيجاد حلّ آخر, دون جدوى" ترجمة حياة هربرت سبنسر بيده المجلّد الثّاني صفحة 549.
ينتج عن كلام سبنسر هذا بعض النّتائج المهمّة نذكر منها ما يأتي:

أوّلاً, أنّ سبنسر اعترف بفشله في إيجاد حلّ لمعضلات الحياة بعد الموت. فقد قضى خمسين سنة فيها أجهد عقله العقبريّ الجبّار في السّعي لفهم أسرار الحياة ضارباً عن كلمة الآب صفحاً وفي نهايتها اعترف بأنّ مجهوداته ذهبت أدراج الرّيّاح.
ثانياً, أنّه اعترف بفشل الإلحاد في محاولته أن يغنينا عن الدّين.

وثالثاً, شعر بالحاجة إلى حلٍّ مرضٍ لمعضلات الحياة فحوّل وجهه إلى الدّيانة أخيراً, ومع أنّه لم يصر مؤمناً إلّا أنّه أقرّ بأفضليّة الإيمان.
ورابعاً, كفّ أخيراً عن مقاومته للدّين وعبّر عن رغبته في أن يصير مسيحيّاً, فلماذا ننبذ نحن الإيمان الذي عطف عليه السّيّد سبنسر ورغب فيه ونعتنق ما قد نبذه؟"

هذا, وأريد أن أقدّم لكم أيضاً غيره. هو أحد الكتّاب المشهورين واسعاً و.و.ساندرز, وقد نشرت له المجلة (أميركان مجازين) مقالاً في عددها الصّادر في تشرين الثّاني (نوفمبر) سنة 1930م جاء فيه ما يلي:
"دعني أقدّم لكم إنساناً يشعر بالوحشة والتّعاسة أكثر من أيّ إنسان آخر في العالم... أعني إنساناً لا يؤمن بيهوه ...ولا أقدّم لكم إنساناً ينكر وجود يهوه, أي كافراً, كلّا, إنّما أريد أن أقدّم لكم شخصاً تائقاً مشجيّاً مستوحشاً, هو إنسان يقول "لا أدري" فهو لذلك بلا إله والبعض يسمّونه ملحداً...
إنّني لصاحب صلاحيّة خاصّة في أن أقدّم لكم هذا الإنسان لأنّني أنا هو, نعم, أنا نفس ذلك التّعيس اللّاأدري, والذي أكتبه إنّما أكتبه من قلبي ومن صميم حياتي ومن عقلي, وإذ أقدّم لكم ذاتي أعرّفكم أيضاً بجاركم لأنّ اللّاأدريين قد انتشروا في كلّ مكان
ولربّما يدهشكم أن تعرفوا أنّ اللّاأدري يحسدكم إيمانكم بيهوه وثقتكم بالحياة بعد الموت, ويغار عن رجائكم المبارك, بأن تلاقوا أحبّاءكم في الأبديّة حيث لا وجع ولا موت, ويتمنّى أن يعتنق إيمانكم, لكي يتعزّى به
وأمّا هو فليس له إلّا القبر, وانحلال المادّة الأوّليّة التي منها تكوّن جسده وشخصيّته
وليس أنّي أجد في هذه النّظرية المادّيّة سروراً أو سعادة, بل تجعلني أتساءل هل هذا العبث هو غاية الحياة البشريّة وثمر مجهوداتها؟ لذلك تجدني أريد أن أصوّر أمامكم شوق الإنسان الذي لا يؤمن بيهوه وتعاسته
قد يتظاهر اللاأدري بالشّجاعة, ويواجه الحياة بابتسام, ولكنّه ليس سعيداً ....وإذ يقف منذهلاً أمام سعة الكون وجلاله وهو لا يعلم من أين أتى أو لماذا جاء, وينظر بهول إلى فسحة الفضاء, وعدم محدوديّة الوقت ويشعر بصغر نفسه وضعفها وقصر حياته, ألا تظنّون أنّه مثلكم يريد أن يكون له إيمانٌ يستند إليه ورجاء يقوّيه؟ إنّه هو أيضاً يحمل صليباً
فاللّاأدري... يتأثّر تأثيراً عظيماً من قوّة إيمانكم إذ يشاهد كيف يغيّر السّكارى ويجدّد الإباحيين, وقد رأى المرضى والشّيوخ و المتروكين وهم يتعزّون, وأعجبته أعمال هذا الإيمان الخيريّة في إنشاء المدارس والمستشفيات والملاجىء, ويعترف خجلاً بأنّ اللاأدريين قد عملوا قليلاً جدّاً من أجل اليتامى والمرضى
إنّ هذه الأرض, في نظره, ما هي إلّا رمث طافٍ على بحور الأبديّة لا غور لها ولا أفق, وفي قلبه وجعٌ وهمٌّ لأجل الطّافين عليه معه إذ يحملهم التّيّار حيث لا يدرون
"لقد قابلتم فيّ شخصاً من أتعس النّاس وأكثرهم شعوراً بالوحدة."
فما هو إذن الذي يعدنا به الكافر إذا صرنا كافرين معه؟ لا شيء البتّة, وهو نفسه يصرّح بذلك, بل يحسد المؤمن إيمانه ويقول أنّه تعيس ومستوحش, وليس له ما يعدنا به إلّا تعسه ووحشته"

"فقال السّيّد أمرسون ولكن, يا سيّد دير, لا يستطيع اللّاأدري أن يؤمن لأنّ الكثير من تعاليم الإيمان يؤخذ بدون برهان حسّيّ, في حين أنّه يرغب في أن يسيّر حياته طبقاً للحقائق الواقعيّة, واللّاأدري ليس له ما يعد غيره به لأنّ الحياة الأبديّة لا ترى ولا تمسّ والعمل بالإيمان المجرّد هو محض سخافة"
فابتسم السّيّد دير وقال: "إنّ المسألة على عكس ذلك, لأنّك تعيش بالإيمان وكلّ إنسان في العالم يعيش بالإيمان"
ردّ السّيّد أمرسون: "لا أفهم ما تقول, أرجو إيضاح كلامك"
-"بكلّ سرور, إنّ البشر كافّةً سواء كانوا مثقّفين أم جهّالاً, فنّانين أم علماء, مادّيين أم روحيين, يؤمنون إيماناً بأشياء لم يروها ولا يستطيعون إقامة الدّليل على وجودها فالرّياضيّون مثلاً يؤمنون بالقواعد والنّظريات, والكيميائيّون يؤمنون بالإثير وبالصّفات المتناقضة في الأجسام, والفلكيّون يفرضون وجود الفضاء بدون حدّ, والعلماء الطّبيعيون يؤمنون بالقوّة الطّبيعية غير المرئيّة,ونواميسها, وكلّنا نفرض الجاذبيّة ولا نستطيع إثباتها.
وقد قال العلّامة المشهور توماس هكسلي أنّ العلم نفسه يتوقّف إلى حدٍّ بعيد على الإيمان, وقد جاء في كتابه "التطوّر وعلم الأخلاق" على صفحة 121 قوله: "إنّي أؤمن إيماناً راسخاً بشمول السّببيّة, ولكن لا يمكن إثبات هذا الشّمول بأيّة تجربة كانت"
وقال أيضاً في كتابه "العلم وتقاليد المسيحيّة" صفحة 243 "إنّ أساس أعمالنا جميعها, وصحّة محاجّاتنا مبنيّة على الإيمان"

إنّ معرفة الملحدين ليست سوى إيمان مبني على معتقدات بخصوص الوجود وقوّات الطّبيعة, والمادّة والذّرّات, وكلّ إنسان, سواء كان مؤمناً أو ملحداً يحيا بالإيمان.
فمن المضحك جدّاً أن يحتقر الإنسان المعجزات, ويعتقد أنّ العالم خلق نفسه وأن تسمع إنساناً يسخر من وجود خالقٍ للعالم, وهو يفصح بعلمٍ عميقٍ عن كون المادّة غير مدركة وكيف أوجدت المدرك وكيف تكوّنت الخليّة الأصليّة نفسها؟ إنّه لينكر نفس الإنسان ويؤمن بنفس الذّرّة وبذاكرة جوهر الفرد غير الواعية, ويقيم الحجّة على نشوء الحياة من ذاتها وينكر وجود خالقها, إنّه لمنتهى السّخافة

فليس للملحد إذن سوى عويل اليأس وتنهّد التّعس يقدّمهما لكلّ من يستنجده, وهو يفضّل ويستسهل الهجوم على كلمة يهوه عن السّعي لمساعدة البشريّة البائسة, وبينما يستهزئون بالإيمان يعيشون هم أنفسهم بالإيمان, ويستجهلون المؤمن بالسّيّد المسيّا وفي نفس الوقت يحسدونه إيمانه ويتمنّون لو يكون لهم تعزية الإيمان وسعادته.
"في الأسبوع القادم, إن شاء يهوه, نبحث فيما يعدنا به الإيمان, فإلى اللّقاء"

الفصل الثاني عشر
بم يعدنا الإيمان؟

اجتمع الجمهور لسماع الخطبة الأخيرة في هذه السّلسلة من الخطب قبل الميعاد المضروب لها, ودلّت وشوشة الحديث بينهم على زيادة الاهتمام بها, فكانوا يتحدّثون جماعاتٍ جماعات هنا وهناك في القاعة.
أمّا لوسيل أمرسون فكانت عيناها تبرقان بريقاً وقالت لوالدها: "ماذا سيحدث اللّيلة يا أبتاه؟"
-"يحدث الشّيء الكثير يا عزيزتي, ولكن ليس حسب انتظارك, على ما أظن لأنّ المجادلة قد انتهت"
-"لماذا, يا أبتاه؟ قل لي ماذا سيحدث؟"
-"المجادلة لا تكون, لأنّنا قد بحثنا في كلّ الحقائق التي يمكن أن يدور الجدال عليها, والموضوع في هذه اللّيلة من الخطورة بمكان وحيّويٌّ جدّاً فلا يقاطع أحدٌ الخطيب إلّا بدافعٍ شديدٍ جدّاً"
-"ولكن, قل لي ماذا سيحدث"
-"لست على بيّنة ممّا سيحدث ولكنّني أنتظر أنّ الكثيرين منّا سيقرّرون اللّيلة موقفهم النّهائي من الإيمان"
حدّقت لوسيل في عيني والدها وسألته بهيبةٍ غير عاديّة وجورج والسّيّدة أمرسون يعطيان إصغاءً شديداً فقالت, "هل قرّرت أنت, يا أبتاه, ما تعمل؟"
-"إنّني لم أقرّر بعد, ولكنّي أرجو أن أقرّر بعد أن أسمع الموضوع عمّا يعدنا به الإيمان, وهل أنت قد قرّرت يا لوسيل؟"
-"نعم يا أبي, وأرجوك أن لا تؤاخذني"
-"طبعاً, أنا لا أعارض, وأنت يا جورج" فأحنى جورج رأسه موافقاً, "وأنتِ, يا زوجتي؟" فنظرت إليه بعين الشّفقة وقالت: "إنّي منذ عهدٍ بعيدٍ كنت أتمنّى أن أكون مؤمنة"

عندئذٍ خيّم السّكون على المكان لأنّ الخطيب, يرافقه رئيس الاجتماع, أخذ يصعد على المنبر, وعندما قام للتّكلّم قابله الجميع بنفسٍ واحدة وباستحسانٍ شديد.
-"ماذا يعدنا به الإيمان؟ لقد استمعتم إلى اعترافات كبار الملحدين اعترافات حرّة بأنّ ليس للإلحاد ما يعرضه على أصحابه إلّا اليأس الكامل والوحشة المخيفة, واستمعتم كذلك إلى ما يتمنّونه ويتحرّقون شوقاً إليه من تعزية الدّيانة والإيمان.
وقد عرفتم أيضاً كيف تنبّأ الكتاب المقدّس بتاريخ ممالك العالم وأخبر بمصيرها إلى نهايه الزّمان, وليس في كلّ العالم من يستطيع أن ينكر أنّ هذه النّبوّات قد كتبت قبل إتمامها بقرون, كما أنّه ليس في الإمكان أن تُعزى لأسباب طبيعيّة, وقد اعترفتم, أنتم جميعاً, بأن ليس من كتاب آخر في العالم يحوي مثل هذه النّبوّات, وقد تحيّر الملحدون في تعليلها وحاولوا عبثاً إغفالها تخلّصاً منها.
أمّا المسيحيّة فتقدّم لكم السّيّد المسيّا, وهو, حسب شهادة عشرات الملحدين الذين قد قرأت عليكم أقوالهم, أعظم شخصيّة عرفها التّاريخ, بل وقد تحمّسوا له تحمّساً يفوق غيرتهم لأيّ شخصٍ آخر منذ بدأ التّاريخ, حتّى أنّ كثيرين من مشاهيرهم قد تنحّوا عن الإلحاد واعتنقوا جهاراً وبفرح الإيمان بالسّيّد المسيّا.

فلنتأمّل قليلاً في ما قد وهبه يهوه للجنس البشريّ في السّيّد المسيّا, فقد علّم السّيّد المسيّا في قصّة السّامري الصّالح واعتنائه بالذي وقع بين اللّصوص بوجوب إظهار الرّحمه لأيٍ كان, وهو نفسه قد شفى المرضى جميعاً. نتيجةً لتعاليمه وأعماله تجدون في كلّ البلدان التي انتشرت فيها الدّيانة مستشفيات ومصحّات فيها يُعامل المرضى بالرّفق والرّحمة.
"فهل أنتم من المصلحين الاجتماعيين الذين يهمّهم أمر الفقراء؟"
فتأمّلوا كيف رفع السّيّد المسيّا شأن الفقراء, فبفضل تعليمه أنّ النّاس جميعاً من دمٍ واحدٍ وكلّهم أمام يهوه إخوة قد أبطل الرّقّ وحرّر العبيد, وقد عزّى يهوشوه المظلومين المتضايقين وحمل بشدّة على الأغنياء الأنانيين, ودعا إلى العدالة الاجتماعية للجميع على السّواء.
هل تعتقدون أنّ الثّقافة ضروريّة لتقدّم البشريّة؟ لاحظوا إذ إنّه هو الذي حمل لواءها, قد شفى العقول مع الأجساد, وأمر تلاميذه قائلاً: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعلّموهم" وبهذا الأمر دفع إلى العمل أعظم قوّات العالم وأنفعها, ولهذه الوصيّة مضموناتٌ لا حدّ لها, لأنّها تأمر المؤمنين بأن يدرسوا حاجات الأمم وأحوالها لتتمكّن من تطبيق الإنجيل على حياتها.
ولهذه الغاية قد درسوا طرق الملاحة واستكملوا وسائل النّقل بغية الوصول بالإنجيل إلى كلّ الأمم حسب أمر السّيّد المسيّا لهم, فلقد أطلق هذا الأمر العنان لجهودٍ جبّارةٍ في كلّ عصر, لإرسال الرّجال إلى أقصى الأرض فيسافرون على أجنحة فوق السحاب, ومن المنطقة الشماليّة المتجمّدة إلى رمال الصّحاري المحرقة وحتّى في مجاهل التّبيت تجدهم يعلّمون ويهذّبون الشّعوب امتثالاً لأمر السّيّد.

وهذا الأمر بتعليم جميع الأمم يقضي أن يعرف المعلّم أكثر من المتعلّم وعليه فقد تعلّموا لغات العالم وطبعوا الكتاب المقدّس أو أجزاء منه نحوٌ من ألف ومئتي لغة وقد ترجموا إليها مختلف أنواع الكتب النّافعة من علميّة ودينيّة, وأكثر المعلومات الجغرافيّة قد وصلت إلينا عن طريق المرسلين الذين خاطروا بحياتهم للذّهاب إلى أماكن يخشى التّاجر أن تطأ قدماه أرضها.

إنّ الجنس الذي وُلد السّيّد المسيّا منه كان,ولم يزل مكروهاً ومنبوذاً أكثر من غيره من الشّعوب, وفي نفس الوقت كان أشدّها تعصّباً وضيقاً, ومع ذلك فقد صار السّيّد المسيّا هو الرّجل الذي فيه اتّحد الشّرق والغرب, ويثق به الشّرقي والغربيّ معاً.
علّم سقراط مدّة أربعين سنة, وأفلاطون مدّة خمسين سنة, وأريسطوطاليس مدّة أربعين سنة, وأمّا السّيّد المسيّا فعلّم مدّة ثلاث سنين ونصف فقط, ولكنّها كانت أعظم تأثيراً من المئة والثّلاثين سنة التي قضاها المعلّمون الثّلاثة وهم أعظم المعلّمين الذين شاهدهم التّاريخ.
لم يكن السّيّد المسيّا كاتباً, ومع ذلك يقتبسون أقواله أكثر من أيّ كاتب, وقد طارت كلماته إلى أقصى الأرض وترجمت إلى جميع اللّغات.
لم نسمع قطّ أنّ نجّار النّاصرة كان مهندساً, ومع ذلك قيمت أعظم المباني وأفخرها إتقاناً إكراماً له, ولم يكن رسّاماً, ولكنّ أعظم الرّسّامين, مثل روفائيل وميشيل أنغلوا ولياردو دافنشي رسموا ما رسموه بإلهامٍ منه, ولم يكن شاعراً أو عازفاً على آلات الطّرب, وإنّما حياته قد ألهمت أعظم الشّعراء وأوحت إلى أمهر العازفين, واستفزّت أشهر الفنّانين بفنّ الألحان.
وكان السّيّد يهوشوه اجتماعيّاً, ولكن بتحفّظ منعاً للتّطفّل. وكان معتدلاً, غير متعصّب, ولم يشاكل العالم ولكنّه أظهر عطفه على الجميع واعتناءه بهم.

ويمدح الملحدون تعاليم السّيّد المسيّا لوضوحها ويثنون على آدابه لسعتها ويعجبون من أحكامه لعدالتها, ويستحسنون كلماته لحلاوتها ويفصحون القول في حياته لجمال اتّزانها ونبلها وصفو قوّتها.
والحقيقة أنّه لايمكن استقصاء كلمات السّيّد المسيّا, فقد صارت أمثالاً وشرائع ومعتقدات, وهي عزاءٌ للفقراء وراحةٌ للمتعبين. وهي إذا نمت في الحياة تميّزت الأخلاق, وبعد أن تعمل ذلك كلّه تظلّ حافظةً نضارتها وعاملةً بقوّتها الأصليّة.
ولكلمات السّيّد المسيّا حلاوة العتيق ونضارة الجديد, ولها بساطة الطّفل وحكمة يهوه, لها نعومة قبلات المُحبّ, وقوّة البرق الذي يشقّ أعظم الجبال.
لقد فشل النّاقدون في محاولتهم إزاحة السّيّد المسيّا عن كونه كمال القداسة المجسّمة, وتنفّست أمواج الإلحاد الهائجة عند قدميه وعادت تاركةً إيّاه واقفاً المثل الأعلى وإلهام العظائم وراحة التّعابى ورائجة العالم والزّهرة السّماويّة الوحيدة في بستان الأرض.
بكلّ ذلك يعترف الملحدون صراحةً, بيد أنّهم يحاولون أن يعزوه إلى أسباب طبيعيّة, فهم يسلّمون مثلاً بأنّه أعظم إنسان عاش في الدّنيا, ولكنّهم إذا قلنا أنّ كماله يعود إلى كونه يهوه قد ظهر في الجسد, يحتجّون احتجاجاً عنيفاً ويرفضون هذه الحقيقة رفضاً باتّاً.

أمّا قولهم هذا أنّ السّيّد المسيّا هو الإنسان الكامل الأوصاف فلا يحلّ المعضلة في شيء, بل يزيدها تعقّداً, لأنّ السّيّد المسيّا, إن لم يكن إلهاً, فهو أعظم دجّالٍ شهده العالم, فقد قبل السّجود له, وقال أنّه نور العالم, وأنّه كان قبل ولادته على الأرض, وجزم أنّه قد نزل من السّماء وجعل نفسه مساوياً للآب, وطلب الإكرام الذي للآب, انظر في ذلك إنجيل (يوحنا 5: 17- 23) ؛ (10: 30, 33, 38) وقبل من التّلميذ توما السّجود واللّقبين "سيّدي وإلهي" باستحسان إذ قال له: "لأنّك رأيتني يا توما آمنت, طوبى للذين آمنوا ولم يروا" (يوحنا 20: 28, 29) وفي البشائر الأربع آيات أخرى كثيرة بهذا المعنى.
لقد ادّعى السّيّد يهوشوه ادّعاءات قويّة, فإذا كانت باطلة, كما يزعمون, فيكون السّيّد المسيّا - في هذه الحالة - أعظم خدّاع ودجّال عرفه التّاريخ, هذا, ولا يقول أحد من الملحدين أنّه, له المجد, كان دجّالاً, وكلّكم تؤمنون مثلي بأنّ السّيّد المسيّا كان مخلصاً وصادقاً فيما قال, لأنّكم تعلمون يقيناً أنّ الدّجّال الشّرير لا يستطيع أبداً أن يعلّم بالحقائق التي علّم بها السّيّد يهوشوه, والرّجل الصّالح لا يخدع الذي مات لفدائهم.

وعليه فإنّ العقدة المعقّدة في الكتاب المقدّس هو السّيّد المسيّا وهذا نفسه أعظم برهان أنّه قد جاء بالوحي, أجل, يقف السّيّد يهوشوه بارزاً بين أعظم النّاس لا يقاربه أحدٌ في صفاته, فترونه وهو يسير عبر الأجيال في موكب النّصرة ويشّع حوله ومنه مجدٌ أبديٌّ أرغم حتّى ألدّ النّاقدين على الانحناء أمامه خشوعاً واحتراماً. قد تلاطمت أمواج الانتقاد على صخر الدّهور وتحطّمت, وبقي السّيّد المسيّا, حسب النّبوّات عنه, الحجر المغناطيسي الذي يجذب الجميع إلى نفسه.
قد جاء ملك الملوك هذا من السّماء وفي قلبه حبٌّ أزلي للبشر, وجاء ليكون واحداً معهم, ويعاني أرذل أنواع السّخريّة والاستهزاء, ويتحمّل أقوى التّجارب, ويلاقي أشنع الميتات, لنعلم نحن معنى المحبّة فيرجع بنا إلى براءة الجنّة وسعادتها, فهو شأنه شأن الشّمس التي تدور حولها جميع السّيارات تستمدّ كلّ منها نورها وقوّتها وحياتها, وليس للبشريّة منبعٌ آخر تستمدّ منه هذه الميّزات الحيويّة والآن فهل تسمحون لي بأن أقدّم لكم شهادةً شخصيّة؟

لقد نشأت ملحداً وكان والدي وسائر أفراد أسرتي فخورين بإلحادهم, وكنت أتغذّى يوميّاً بما قاله الملحدون السّابقون في افتخاراتهم ولكنّي تبيّنت حيرة الملحدين كافّة, من كلسوس إلى ويلز, وهم يقفون حول مهد السّيّد المسيّا منذهلين, وكنت أعجب كيف سمحت العناية بإرسال هذا الطّفل البسيط العديم الحيلة إلى العالم حين قد اجتمع الجشع الرّوماني والكره اليهودي والدّهاء اليوناني للقضاء عليه, ومع ذلك لم يعمل هذا المزيج من الشّرّ إلّا على تقدّم قضيّة هذا الطّفل وإذاعتها.
وتعجّبت أن اسم هذا الرّجل الفقير, الذي لم يكن له جيش ولا قوّة, ولم يشغل وظيفة, ولم يؤلّف كتباً, الذي مات في عزّ شبابه مصلوباً بين لصّين, كان أعزّ الأسماء حتّى بين الملحدين أنفسهم.

لم أجد كافراً استطاع أن يقول لي لماذا تكون كلمات السّيّد المسيّا مشحونةً قوّةً, وحياته اليوم كما كانت منذ ألفي سنة, أو كيف تقوى تانك اليدان المثقوبتان على خطف وحوش بشريّة من جهنّم الشّرّ, وتغييرهم بين ليلةٍ وضحاها إلى أبطال أمجاد, فيحتملون الموت حرقاً لكي يبشّروا الآخرين بمحبّة السّيّد المسيّا وقوّته الفائقة للخلاص التي جلبت السّلام لأنفسهم.
وعجز اللّاأدري عن أن يُفسّر لي أسباب اندثار أعظم ممالك الأرض التي في عزّتها بدت كأنّها خالدة, بينما ازداد ملكوت هذا الجليليّ المصلوب انتشاراً وجمالاً وذلك رغم هجمات العدوّ العنيفة عليه.

وكذلك المستهزىء فإنّه عجز عن أن يوضّح لي امتداد كلمات السّيّد المسيّا في كلّ العالم حتّى لا يقف دونها حائل فتعبرالبحار والصحاري وتعلو الجبال وتتوغّل في الغابات الكثيفة فتصل بالهاتف والبرق, بالطّيّارات واللّاسلكي, بالمطبوعات والمنشورات إلى كلّ أمّة وقبيلة ولسان وشعب وتجدّد أناساً منهم, وذلك كلّه حسب النّبوّات التي تنبّأ بها السّيّد نفسه.
ولن يستطيع المتشكّكّ أن يعلّل لي كون كلمات هذا الرّجل الفريد بسيطة يفهمها الطّفل وعميقة لا يسبر غورها الفيلسوف, إنّ حياة هذا الإنسان وكلماته وأخلاقه لهي لغز التّاريخ وكلّ تفسيرٍ لها طبيعي لا يزيدها إلّا تعقيداً.
ولكنّني تعلّمت أنّ اللّغز مُفَسَرٌ والعقد محلولة عندما قبلته كما هو, وآمنت به ابناً ليهوه قد نزل من السّماء لأجل خلاص البشر الذين أنا منهم, فصرت أنتعش عندما أسمع كلمات الملائكة "هوذا قد ولد لكم اليوم ...مخلّص هو المسيّا السّيّد" وقد أدركت أصلاً هذه الحقيقة القائلة "ولو ولد المسيّا ألف مرّة لا يفيدك إن لم يولد أيضاً في قلبك". "فالمسيحيّة إذن تعرض عليكم هذا البرنامج الكامل: مثلٌ كامل, وغفران جميع خطاياكم السّالفة, وراحة النّفس - أجل, إنّها تعرض معزّيّاً ورفيقاً ومخلّصاً في هذه الحياة وفي الدّهر الآتي حياة أبديّة في جنّة الخلد مع يهوه وملائكته الأطهار, وبالنّسبة لهذا البرنامج لا يعرض عليكم الإلحاد إلّا اليأس والقنوط والظّلام الدّامس إلى الأبد, وأنتم جميعاً مخيّرون, والفرصة سانحة الآن, فقد كان لكم مُتّسع من الوقت, لتزنوا فيه الدّلائل وتمتحنوا الحجج, وها هو المخلّص ينتظر أن يدخل قلوبكم ليعطيكم السّلام الدّائم الذي يرافق غفران الخطايا"

هنا توقّف الخطيب هنيهةً وتفرّس في وجوه الجمع المحتشد وعيناه تلمعان شوقاً ثمّ قال: "أرجو الذين يرغبون منكم في نبذ الإلحاد, وقبول يهوشوه ابن يهوه مخلّصاً لهم من الخطيّة وكانوا إلى الآن ملحدين أن يظهروا عزمهم بالوقوف"
نهض إلى القيام أكثر من مئة من الحضور وتحوّلت عينا الخطيب إلى جهة أسرة أمرسون وبدا الفرح على ملامح وجهه عندما رأى أنّ الأربعة منهم قد انتصبوا فقال موجّهاً كلامه لهم:
"إنّني لسعيدٌ جدّاً, يا سّيّد أمرسون أن أراك أنت وأفراد أسرتك واقفين, هل يكون بوسعك أن تخبر الحضور بأسباب موقفك هذا الجديد؟"
"بكلّ سرور" أجاب السّيّد أمرسون بصوتٍ واضحٍ يغلب عليه نبرات الفرح,"في أثناء استماعي لهذه السّلسلة من الخطب أعدت قراءة الكتاب المقدّس, وقد وجدت أنّه لا يقول أشياءً كثيرة كنت أظنّ أنّه يعلّم بها, والاعتراضات التي كنت أتصوّرها اعتراضات اضمحلّت عندما درستها بإخلاص, وعندما طالعت العهد الجديد وجدت في السّيّد يهوشوه سلاماً واطمئناناً للمرّة الأولى في حياتي, وابتعد عنّي الخوف والشّعور بالوحدة في عالمٍ مظلمٍ أتلمّس فيه طريقاً عبثاً, وحلّ محلّه الاتّكال والتّسليم إذ استمسكت بيد المخلّص الخالق القدير.
والذي يسرّني وينعشني بالأكثر هو التّأكّد أنّ خطاياي وآثامي مع كثرتها قد غُفِرت, ولا أخشى بعد ما يكنّه لي مستقبل الأيّام بل أتطلّع إليها بفرحٍ وحمدٍ للسّيّد يهوشوه الذي طالما كنت أعجب منه وأمّا الآن فأثق به صديقاً ومخلّصاً لي"

عندئذ دعا السّيّد دير الوقوف كافّة إليه ليجري التّرتيبات اللّازمة لضمّهم إلى عضويّة الكنيسة فيشتركون جميعاً في إذاعة بشارة الملكوت في كلّ العالم, ومن أوّل الذين وصلوا إليه أسرة أمرسون بأفرادها الأربعة, ويبدو عليهم روح الفرح والغيرة والتّقديس لخدمة يهوه الآب والمخلّص يهوشوه المسيّا له المجد من الآن وإلى أبد الدّهور, آمين.

فندعوك أيّها القارىء العزيز أن تحذو حذوهم وتقبل المسيّا فادياً قديراً لك فتحيا حياةً أبديةً في سلامٍ ورغد عيش في حضرة يهوه.